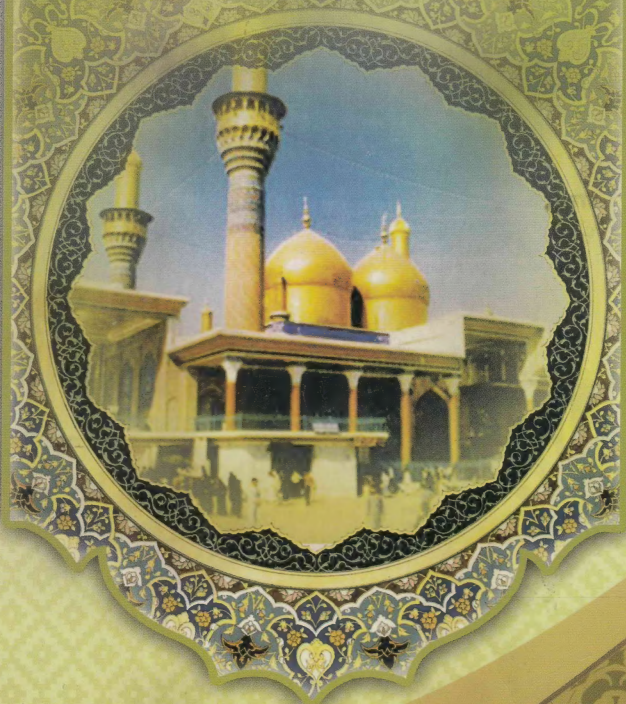


الإمام الجواد عليه السلام

الإمامة المبكرة ...
وتداعيات الصراع العباسي



مراجعة

مؤسسة السبطين عالمية

تأليف

السيد محمد علي الحلو



الإمام محمد الجواد عليه السلام

الإمامة المبكرة.. وتداعيات الصراع العباسي

الإمام محمد الجواد عليه السلام

الإمامة المبكرة.. وتداعيات الصراع العباسي

تأليف

السيد محمد علي الحلو

مؤسسة السبطين للإعلام العالمية



ایران - قم - شارع انقلاب - زقاق ۲۶ رقم ۴۷ و ۴۹

هاتف: ۷۷۰۳۳۳۰ - فاكس: ۷۷۰۶۲۳۸

URL: www.sibtayn.com

E-mail: sibtayn@ibtayn.com

هوية الكتاب

الكتاب: الإمام الجواد عليه السلام ، الإمامة المبكرة
تأليف: السيد محمد علي الحلو
الناشر: مؤسسة السبطين عليه السلام العالمية
الطبعة: الأولى
المطبعة: شريعت
التاريخ: ۱۴۲۹ هـ. ق / ۱۳۸۷ هـ. ش
الكمية: ۱۰۰۰ نسخة
السعر: ۲۲۰۰ تومان
شابك: ۱ - ۱۹ - ۸۷۱۶ - ۹۶۴ - ۹۷۸

مقوق الطبع ممفوظة لمؤسسة سبطين عليه السلام العالمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأهواز

سيّدي يا أبا ممّد... أيّها الرضا
من عبق الإمامة تصنع ملامح الولاء...
وهوية الانتماء تمكي فصول الدفاع
عن تاريخ المضرّج بالدماء...
فإليكم - سيّدي - تنتمي الكلمات...
وتطوي مسافات الزمن...
لتمكي صراعات الماضي مدبّجة
بممن الماضر في الانتماء...

محمّد علي

كلمة المؤسّسة

يسرّ مؤسّسة السبطين عليه السلام العالميّة أن تقدّم إلى القارئ كتاباً جديداً من مؤلّفات الباحث (السيد محمّد علي الحلو) وهو باحث معاصر يتميّز بكونه ينتسب إلى الخطاب الحديث في تعامله مع الحدث التاريخي أو الشخصية التاريخية، أو الموقف التاريخي... إلى آخره.

إنّ المعنيين بهذا الشأن الثقافي ينشطون إلى اللغة الموروثة في التعامل مع الظاهرة، وإلى اللغة الحديثة، حيث يتميّز (الحلو) بتوفّره على الشرط الآخر، وهذا ما يهب كتاباته قيمة معرفيّة جديدة من جانب أو يهبها جماليّة وطرافة ومنتعة من الجانب الآخر، ولا يخفى أنّ الكتابة الموروثة عند ما تدور حول ما هو مكرّر وما هو غير متناغم مع العصر، تفقد جاذبيّتها وتبعث على الملل بخلاف ما لو خاطبت القارئ بلغة وبمنهج وبتحليل يعتمد البعد النفسي والاجتماعي في التعامل مع الظواهر المطروحة، حيث أنّ ولادة المعرفة المرتبطة بعلوم النفس والتربية والاجتماع إلى آخره، تسهم بلا شك في إكساب التحليل والتفسير والتقويم أهميّة لها ظرافتها ومنتعتها.

إنّ القارئ للاصدار الجديد لهذا الكاتب، وهو: ما يرتبط بالإمام الجواد عليه السلام، يجد جملة خصائص قد واكبت الكتابة المذكورة، منها: الربط أو التمهيد بين البيئة السياسيّة بخاصّة وانعكاسها على الظاهرة المبحوثة، حيث تمنح البحث عمقاً أكبر لفهم الظاهرة. كما أنّ إبراز الجانب المرتبط بما هو معجز في حياة الإمام عليه السلام، حيث تولّى الإمامة في عمره المبكر، والاستشهاد بشخصيّات نبويّة مثل يحيى وعيسى بحكمة أتاها الله تعالى الحكم صبيين، يظل بدوره عنصراً معمقاً لقناعة القارئ.

ولا نغفل جهة ثالثة تبّنها هنا الباحث وهي: الأسباب الظاهرة والخفية وتداعياتها المتنوعة الكامنة وراء تعامل السلطان العباسي (المأمون) بخاصة مع الإمام الجواد عليه السلام من حيث إظهاره للعجز العلمي وتنبيه للإمام عليه السلام، للمصالحة بين صراع الخليفة مع التيار المعارض وأهدافه التي جعلت المعنيين بالامر يتفاوتون في تقويمهم للسلطان المذكور من حيث انتصاره لمذهب الحق أو العكس من ذلك.

هذا بالإضافة إلى محاور متنوعة في الكتاب المذكور، يجدها القارئ متسمة بما هو عميق وطريف وجديد...

وفي ضوء ما تقدّم يجد القارئ في كتابة الباحث المعاصر (الحلو) نكهة خاصة لها أهميتها كما أشرنا.

بخاصة وأنّ مؤسستنا قدّمت للقارئ جملة إصدارات للكاتب المذكور في نطاق الشخصيات المعصومة عليه السلام، مثل (الحسن عليه السلام)، والشخصيات المنتسبة لأهل البيت عليه السلام مثل (... الحسين عليه السلام) وفي نطاق الابحاث العقائدية مثل (التحريف...) إلى آخره، حيث أنّ الانتصار لأحقية المذهب الإمامي وإظهار الزيف الذي كتّفه أعداء المذهب يظل أبرز النتائج التي توفّر عليها الباحث المشار إليه. وما نعمله هو: أن يتابع الكاتب المذكور رصده لسائر الشخصيات المعصومة، وسائر الأبحاث العقائدية وسواها ممّا تفتقر إليه حياتنا المعاصرة.

ختاماً نكرّر الإشارة إلى أهمية هذا الكتاب وسواه، سائلين الله تعالى أن يوفّق مؤسستنا لنشر المزيد من الإصدارات المرتبطة بمعرفة مذهب الحق، إنّه وليّ التوفيق.

مؤسسة السبطين عليه السلام العالمية

٢٠ جمادى الثاني ١٤٢٩ هجرى قمرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَرَّرَةُ

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين.
لم تكن دراسة حياة الإمام الجواد عليه السلام تنطلق من الحاجة إلى قراءات التاريخ الإسلامي بما ينسجم وتاريخ التحدّيات السياسية التي رافقت بلورة نظام الحكم والتنظيم السياسي الإسلامي، وإن كان ذلك أحد دواعي الدراسة كذلك، إلّا أنّ قراءة حياة الإمام الجواد عليه السلام تمثل الحقيقة الحرجة لمعطيات الظرف العام الذي يعيشه المسلمون آنذاك، فالإمام الجواد مثّل تطلّعاً جديداً في العطاء العام للقيادة الإسلامية التي تقود الأمة نحو الهدف الأسمى والأكمل، فالإمامة المبكّرة للإمام الجواد عليه السلام كانت تحوّلًا جديداً في صياغة الأطروحة الإسلامية للحكم، والتنظير لها بما يعطي قراءة جديدة للقيادة المعصومة التي تجاوزت الحسابات المادية؛ لكونها صياغة إلهية مسدّدة بغض النظر عن عُمر الإمام الذي يتولّى مهمّة الإمامة، بل يمكن أن نقول: إنّ إمامة الجواد المبكرة كانت تحدّياً حقيقياً لتقليدية الحكم العباسي الذي تجاوز مرحلة النضج والرشد للخليفة العباسي الوريث لحكم آبائه، فالخليفة العباسي كان يعيش محنة عدم النضج والتكامل، فإنّه ما أن وصل إلى

منصب الخلافة بالوراثة التقليدية، حتى بذل الجهود في تربيته الخاصة لإنضاجه، ولكنه رغم ذلك كان يعاني من تعثرات الأداء في إدارة الدولة، ويؤول الأمر إلى استيلاء ذوي الحنكة السياسية من القادة والخدم والصبيان الذين يحيطون بالخليفة، فتدار الدولة على أساس مشتهيات هذا اللوبي أو ذاك، في حين تُثبت إمامة الجواد المبكرة تحدياً كبيراً لتقليدية الوراثة العباسية، ولنظرية الاستحقاق الوراثي الذي يتقلد من خلاله الخليفة العباسي منصبه.

وفي عمر مبكرة كان للإمام الجواد عليه السلام جولات صراع لإثبات أن الحق مع هذا الخطّ الإلهي، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكانت المناظرات قائمة بين الإمام وبين مخالفه بما يشكّل تهديداً حقيقياً للوجود العباسي، بل لوجود مدرسة الخلفاء المقابلة لمدرسة آل البيت المعصومة، وعلى هذا الأساس أخذ الصراع العباسي منحىً جدياً، فهو اليوم يواجه خطراً حقيقياً يطيح بكل مبتنياته، بل يمكن القول: إن إمامة الجواد المبكرة كانت ثورة تغلي وتتقد دواعيها بشكل خفي، حتى في مشاعر العباسيين أنفسهم، إذ يرى هؤلاء أن الخلافة لا تنتقل بالوراثة النسبية التقليدية، بل هي قضية إلهية لا يمكن تجاوزها، والإمام الجواد السباعي أو الثماني من العمر يشكّل معلماً رئيسياً لهذا التحدي الخطير، فقناعات العباسيين لإمامة الجواد المبكرة تسير وفق قناعات الإنسان بكل موضوعيته، واعتباراته عقلائية، ومعارضة العباسيين للإمام الجواد عليه السلام تسير وفق سياقات التنافس السياسي، فهم بالنتيجة في أعماق ذواتهم «المنكسرة» يقتنعون بمعجزات الإمام، وبالتالي بأحقّيته في الخلافة والإمامة، إلا أن هذا التحدي يعني إلغاء دورهم كحاكمين ويحيلهم محكومين تابعين.

من هنا نشأ الصراع العباسي في قراءة متحدية لواقع أهل البيت عليهم السلام من قِبَل المأمون العباسي، الذي كان يعيش قلق الاستحقاق الحقيقي الذي يجده في آل البيت عليهم السلام، وكذلك يعيش هاجس انتقال السلطة من البيت العباسي إلى البيت العلوي، وهو الهاجس نفسه الذي يعيشه العباسيون كذلك، فالمأمون مثلاً كان يمثل حقبة الصراع العباسي - العباسي، والإمام الجواد يمثل التحدي الحقيقي لسلطة العباسيين التي يقرأ جميع فصولها المسلمون، ولذلك فحياة الإمام الجواد عليه السلام مثلت مقطعاً مهماً من الصراع بين فلسفتين متناقضتين في الحكم والسياسة والحياة بجميع مفاصلها، من هنا تنطلق أهمية دراسة حياة الإمام الجواد عليه السلام وتاريخه المليء بالتحديات العباسية والمؤامرات والفتن.

ومن العجيب أن هذا المقطع التاريخي قد أُلغيت فصوله التاريخية، أو اختفى منها الكثير، وصودر الأكثر؛ لذا تجد أن الباحث في هذا المقطع التاريخي المثير يجد الصعوبة بمكان في تحديد معالم الصراع والوقوف على مفاصله؛ لندرة النصوص، أو إلغاء الكثير من فصول هذا الصراع، والتعقيم على هذه الفترة التاريخية الحرجة من حياة الأمة الإسلامية؛ لذا تجد أن الدراسة عن الإمام الجواد عليه السلام لا تتعدى سوى استعراض مبسط لجزء من حياته الشريفة، والباقي صادرت كتابات المؤرخين بالإشارة الخاطفة لحياة هذا المقطع المثير، أو أخفت السلطات الحاكمة الكثير من هذا التراث التاريخي المهم، وبذلك فإن المؤرخ الإسلامي متهم بالإهمال - على أحسن تقدير - لهذه الفترة المعطاء من حياة الإمام الجواد عليه السلام. أما على أساس الكتابات الشيعية فهي بالرغم من أنها معدودة جداً إلا أنها لا يتعدى أكثرها عن إشارات لحياة الإمام الجواد عليه السلام عدا ما كتبه العلامة

المحقق السيد عبدالرازق المقرّم في كتابه الإمام الجواد عليه السلام: فكانت دراسة تحليلية في أكثر جوانبها بعيدة عن السرد، ومهما يكن من أمر فإنّ حياة الإمام الجواد عليه السلام تستدعي الوقوف كثيراً لقراءة هذا المقطع الرائع من «الإمامة المبكرة وتداعيات الصراع العباسي».

شعبان ذكرى ولادة الإمام زين العابدين عليه السلام

١٤٢٨ هـ

محمد علي السيد يحيى السيد محمد الحلو

الدعوة العباسية قراءة تأسيسية

دخلت الأمة الإسلامية بعد هدنة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية ابن أبي سفيان منعطفاً خطيراً، إذ أحييت الخلافة الإسلامية إلى وراثة كسروية وملك قيصري، ومن جرّاء ذلك نشطت التيارات السياسية، وانطلقت توجّهات دينية وفلسفات نفاية وتطلّعات طائفية جرّاء التعسفات التي أصابت الأمة، وخلقت بذلك دواعي للتكتلات السياسية، بل قل: للتجمّعات السرية التي روّجت من خلال نشاطها فكرة الانقلابات السياسية التي تأطّرت بإطار الثورة الداعية إلى التغيير بلافتة علوية تدعو للرضا من آل محمد عليهم السلام.

ويبدو أنّ المتاجرة بهذا الشعار هو أقصر الطرق للوصول إلى الغايات المرجوة، فكانت الدعوة العباسية حاضرة في الأحداث الإسلامية، بل من أقوى الأنشطة المعارضة للسياسة الأموية المجحفة بحقوق المسلمين؛ لذا فقد نجحت هذه الدعوة في استقطاب الكثير ممّن دعّتهم مقتضيات النصرة لآل البيت بالانضمام إلى تكتلات هذه الدعوة، ودخل الكثير ممّن كان ناقماً من التعسف الأموي الذي أذاق الناس وبال السكوت عن الظلم والقبول بالواقع المعاش، وسارع الآخرون الذين حلموا بالحصول على مناصب حرّموا من التمتع بها في عهد الأمويين. وكان

الهاشميون أوائل طلائع التنظيم، فأبو هاشم بن محمد بن الحنفية هو صاحب فكرة التنظيم، والعلويون هم أهل «براءة الاختراع» لهذه الحركة الهاشمية، وآل العباس أتباع مستضعفون ينضون تحت لواء العلويين في هذا التنظيم السري الذي تزعمه أبو هاشم بن محمد بن الحنفية، الذي عرفه بعض المؤرخين بالزعيم الكيساني، وهو ما يمكن استبعاده في جو ملبد بغيوم الريبة حيال أي توجه خارج عن إطار عقيدة آل البيت عليه السلام، ومن غير المناسب أن يخالف أبو هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب دين آبائه لينتسب إلى الكيسانية أو غيرها من التوجهات العقائدية. نعم، بالإمكان القول بأن التفاف بعض الكيسانية حول دعوته وهو في طور التأسيس السري جعل البعض ينظر إلى أبي هاشم بمنظار الكيسانية، ويبدو أن قتل أبي هاشم على يد سليمان بن عبد الملك جعل الدعوة السرية تنحو مساراً آخر اتخذته للحفاظ على خط هذه الحركة وسريتها، بعد أن تسلم مهامها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أي تحال الدعوة العلوية إلى دعوة عباسية، ومن الغريب في الأمر انتقال هذه الدعوة إلى محمد بن علي العباسي، بعد أن عهد بها إليه زعيمها العلوي أبو هاشم بعد موته، كما عليه أكثر المؤرخين.

ويمكن أن نتوقف عند هذه الحادثة الغريبة، فمن العجيب أن يتجاوز أبو هاشم بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، وأن لا يعهد إلى أحد من الهاشميين حتى وقع اختياره على محمد بن علي العباسي، ومهما يكن من أمر فإن توجّسات الريبة تحيط بتحركات هؤلاء العباسيين. وحادثة عبيد الله بن العباس لازالت في ذاكرة الهاشميين بعد غدره بالإمام الحسن بن علي عليه السلام في حادثة الانهزام عن قيادة جيشه والالتحاق بمعاوية، واستيلاء عبد الله بن العباس على أموال البصرة

حسبما ذكره بعض المؤرخين، إلا إن بعضهم كانوا يُبرِّئون ساحة عبدالله وينسبون الحادثة إلى عبيدالله، أو إلى أحد أولاد العباس بن عبدالمطلب. أو أن بعضهم اعتمد على مُسوِّغات هذا التصرف من قبل عبدالله بن عباس، وجعل ذلك في ضمن دائرة الممكن من الأعمال التي يرتكبها غير المعصوم، والذي يفسّر الأمور في ضوء اجتهاداته القاصرة، إلى غير ذلك من تعثّر العلاقة بين آل عليّ وآل العباس، وهذا ما يدفعنا إلى عدم ترجيح إمكانية إيكال الأمر بالوصية إلى محمد بن علي العباسي من قبل أبي هاشم بن محمد العلوي، وأغلب الظن أن الاحتمال عندنا يقوم على أساس إمكانية استغلال الفراغ العلوي في دعوة أبي هاشم، فربما كان الاغتيال مفاجأة أربك العلويين دون أن يدخلوا في عملية انتقال الدعوة إليهم، أو أن محمد بن علي بن عبدالله بادر إلى استلام الدعوة بصورة خاطفة ليقطع فيها الطريق على الآخرين، ومنهم العلويين إلى استلام الدعوة.

أو يمكن القول: إن العلويين لم يزجّوا أنفسهم في مثل هذه التنظيمات «الحزبية» التي يعلمون فيها عاقبة أمرهم من مطاردة الأمويين لهم، ومن كون أنفاسهم تُحصى من قبل عيون الأمويين الذين راحوا يراقبون أدنى حركاتهم، ودليل ذلك: أن أبا هاشم بن محمد بن الحنيفة وقع في فخ الأمويين، فكانت نتيجته التصفية والتنكيل، وذلك لمراقبة الأمويين تحركات العلويين ومنهم أبو هاشم، في حين يبقى بنو العباس بعيدين عن عيون السلطة وتوجّساتها؛ حتى استطاع محمد ابن علي أن يكمل مسيرة الدعوة دون الوقوع تحت أنظار السلطة الأموية، وبالفعل استمرت الدعوة العباسية حتى أتت أكلها.

ولا يمكننا أن نغفل عن إمكانية محمد بن علي التنظيمية، ومعها يمكن أن

نكتشف دقة تحركاته، وإمكانية اختطاف هذا العمل التنظيمي من صاحب الدعوة الرئيسي الزعيم العلوي أبو هاشم، ومن هنا يمكننا أن نرجح أن هناك انقلاباً دُبر في ليل على دعوة العلويين ليحوزها العباسيون، ويبقى الشك قائماً على كون محمد بن علي قد تزعم التنظيم بوصية أبي هاشم بعد موته.

فالتنظيم الدقيق الذي عمله محمد بن علي يكشف عن براعة ودهاء وحسن تدبير في تحويل التنظيم باسمه، فقد عمل محمد بن علي على اختيار اثني عشر نقيباً من الدعاة العباسيين: سليمان بن كثير الخزاعي، ومالك بن الهيثم، وطلحة بن زريق، وعمر بن أعين، وعيسى بن أعين، وقحطبة بن شبيب الطائي، ولاهز بن قريظ التميمي، وموسى بن كعب، والقاسم بن مجاشع، وأبو داود خالد بن إبراهيم الشيباني، وأبو علي الهروي شبل بن طهمان الحنفي، وعمران بن اسماعيل المعيطي.

واختار سبعين رجلاً يأترون بأمر هذه المجموعة. ولكننا لم نجد في هذه الأسماء من يمكن ترجيح علويته، فهؤلاء إلى العباسيين أقرب منه إلى آل علي، فضلاً عما نقرأه في كتاب هذا الزعيم العباسي من تبصّر في أحوال البلدان، وتقلّبات شعوب الأمصار، وتوجّهات العامة في أقطار الدولة الإسلامية، وهو في ضوء رؤيته هذه اختطّ العباسيون لأنفسهم خارطة الدعوة والتنظيم السري، فقد جاء في كتاب محمد بن علي ما نصّه:

أما الكوفة وسوادها فشيعة عليّ وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكفّ، تقول: كُنْ عبدالله المقتول ولا تكن عبدالله القاتل، وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون

في أخلاق النصارى. وأمّا أهل الشام فليس يعرفون إلّا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، وعداوةً راسخةً وجهلاً متراكماً. وأمّا مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان، فإنّ هناك العدد الكثير والجلد الظاهر، وهناك صدور سليمة، وقلوب فارغة، لم تتقسّمها الأهواء ولم يتوزّعها الدغل، وهم جند لهم أبدان وأجسام، ومناكب وكواهل وهامات، ولحىّ وشوارب، وأصوات هائلة، ولغات فخمة تخرج من أجواف منكّرة... وبعد، فإني أتفاءل إلى المشرق، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق^(١).

والرسالة تقدم مسحاً شاملاً لشعوب البقعة الإسلامية، وتصنّف الناس على أساس الولاء السياسي والفكر العقائدي، الذي وزّع أهواءهم بين شيعة علويين كما في الكوفة، وبين عثمانية الدين كما في البصرة، أو حرورية مارقين كما في الجزيرة، وإلى مروانية الشام، وعمرية المدينتين، وهو بقدر ما يتشاعم في توزيعه هذا يتطلّع إلى أهل خراسان الذي ضمن ولأهم بوصفهم «أهل الصدور السليمة والقلوب الفارغة»، وهي إشارة إلى إمكانية استغلال الخراسانيين، والإملاء عليهم ولأل بني العباس بحجة النصرة لآل محمد والرضا لهم، وهم بذلك سيكسبون الجولة في دعوتهم هذه بحزب خراسانيّ جاهز الولاء...

إنّ ما يثير التساؤل حقاً هو ما أشار إليه محمد بن علي العباسي، من أنّ توجّساً حذراً يحيط بولاء الكوفيّين في استجابتهم لدعوته، وهو ما يكشف لدينا أنّ الفجوة الكبيرة التي تفصل الكوفيّين عن دعوة العباسيين هذه سببها ما ينظر إليه

شيعية الكوفة من عدم الثقة في تحرّك محمد بن علي، بل عدم مشروعية تحرّكه، وهو ما يثبت لدينا قضيتين:

الأولى: أنّ كيسانية أبي هاشم بن محمد بن الحنفية مختلقة حقاً، إذ لو كانت حقيقةً لاستفاد من ولاء الكوفيّين الشيعة، والكيسانيين الذين يتركزون في الكوفة كذلك، وهي نفس الدعوى الباطلة في كيسانية المختار الثقفي الذي ظنّ بعض المؤرّخين أنّه اتّخذ الكوفة منطلقاً لحركته؛ لما تضمّنه الكوفة من المذهب الكيساني، في حين نجد أنّ محمد بن علي بن عبدالله يبعد احتمالية نصرّة الكوفيّين له وانضمامهم لدعوته، ممّا يؤكد لنا أنّ كيسانية أبي هاشم غير ثابتة، وأنّ أنصاره من الكيسانية أمرٌ غير حقيقي.

الثانية: أنّ ابتعاد محمد بن علي بن عبدالله بدعوته عن الكوفيّين الشيعة يثبت عدم ولاء الشيعة له، وبالتالي فهو على غير وفاق مع أبي هاشم بن محمد، الذي أثبتنا عدم كيسانيته، بل الأصحّ هو ثبوت تشييعه حقيقة، وهي قضية توحى لنا بأنّ شكّاً يحوم حول مصرع أبي هاشم على يد سليمان بن عبد الملك، فلربّما كانت تصفية أبي هاشم على يد محمد بن علي بن عبدالله؛ ليحوز بحظوة قيادة الحركة التنظيمية العلوية، وليحيلها عباسية صرفة، وهي ما تشير إليه أخبار التنظيم السري من أنّ محمد بن عليّ اختار لحركته اثني عشر نقيباً غير معروفين بالولاء العلوي، بل يختصّون بولائهم العباسي، أي أنّ هناك انقلاباً نقل زعامة التنظيم بهدوء من القيادة العلوية إلى القيادة العباسية، وهو ما أردنا الوصول إليه بعد بحثنا هذا، وخلاصته:

إنّ قتل أبي هاشم بن محمد بن الحنفية يحتمل أن لا يكون على يد سليمان بن

عبد الملك؛ وذلك إذا كان القتل بسبب ما علمه الأمويون من حركة أبي هاشم التنظيمية السرية لكان الآخرون الذين مع أبي هاشم قد تعرضوا للتصفية كذلك، ولو كان الأمويون قد اكتشفوا التنظيم وأخذوا أبي هاشم بجريرة الحركة السرية والانقلاب على سلطتهم لكان أتباعه الآخرون معرضين لنفس المصير، خصوصاً محمد بن علي بن عبدالله الذي عُرف بشخصيته ومنزلته الخطيرة في قلوب أتباعه، والترجيح القائم لدينا أن تصفية أبي هاشم بن محمد بن الحنفية حدثت على يد محمد بن علي بن عبدالله، أو بأمرٍ منه، ممّا حداً بمحمدٍ هذا أن ينقل التنظيم إلى العباسيين ويخصّهم وحدهم به، لذلك حاول أن يبتعد عن مركز الولاء العلوي وهو الكوفة، وأن يجد ولائاً جديداً يحمله الخراسانيون؛ وذلك بعد أن بذل جهداً استثنائياً ليربيهم على دعوته، دون أن يُدخل مراكز الولاء العلوية الأخرى كالكوفة واليمن وغيرها في خطّته.

هذا ما يمكن أن يكون رأينا في خصوص العلاقة بين أبي هاشم العلوي وبين محمد بن علي العباسي، أي أنّ هناك اختطافاً مفاجئاً حدث في نقل التنظيم السري من العلويين إلى العباسيين، ومنذ تلك اللحظة بدأ تنافس العباسيين للعلويين وتوجّسهم من وجودهم، وشعور العباسيين بأنّ هناك حالة غبن تحصل في مشاعر العلويين من استيلاء العباسيين على الجهد التأسيسي لحركة الثورة على الأمويين واستئصالهم، وكأنّ شعور الذنب هذا لدى العباسيين ولّد عقدة الدونية والنقص لديهم حيال أبناء عموماتهم العلويين؛ ممّا دعاهم إلى ملاحقتهم ومحاولة استئصالهم ظناً منهم بأنّ العلويين يتطلّعون إلى سلطة مغبونة اختطفها منهم العباسيون في يوم من الأيام، ولعلّ هذا أحد أسباب العداء العباسي لآل عليّ

ومحاولة تصفيتهم وملاحقتهم في كل مكان.

على أنّ التصفية العباسية للخصوم فلسفة نشأت منذ تولّى العباسيين زعامة التنظيم السري، وهي سليقةٌ تعاضمت لديهم منذ ذلك الحين، فحين نقف على وصية إبراهيم بن محمد بن علي المعروف بإبراهيم الإمام نجد أنّ حالة الانتقام وتصفية الخصوم هي فلسفة الحركة العباسية، بل الدولة العباسية بعد ذلك، إذ استطاع العباسيون أن يفرضوا هيمنتهم على الخراسانيين بأخذ البريء بتهمة الجاني، لا على أساس اليقين، بل إنّ الشكل كان هو الحاكم في اتخاذ قرار تصفية الخصوم الحقيقيين أو الوهميين؛ لذا فقد سار أبو مسلم الخراساني على أساس وصية إبراهيم بن محمد بن علي العباسي المعروف بإبراهيم الإمام، على أن يقتل كلّ من ظنّ في معارضته أو شكّ في ولائه، أو تحسّب من معارضته مستقبلاً، أو ترجى إصلاح خطّتهم بتصفيته.

وخطورة الكتاب المرسل إلى أبي مسلم الخراساني تتبيّن حين أحصى المؤرّخون أنّ مقتل الخصوم أو المعارضين للعباسيين بلغ ستمائة ألف نفس قتلت صبراً، بغض النظر عن صحة هذا الرقم أو المبالغة فيه، وهو أمر ممكن في ظل الظرف السياسي الحرج الذي عاشته الدعوة العباسية والتي لم تجد سبيلاً للنصر إلّا بتصفية الخصوم وقتلهم بطريقة أبي مسلم البربرية، فقد جاء في رسالة إبراهيم الإمام ابن محمد بن علي العباسي الموجهة إلى أبي مسلم الخراساني ما نصّه:

إنّك رجل منّا أهل بيت^(١)، احفظ وصيتي: انظر هذا الحيّ في

(١) الظاهر: منّا أهل البيت، وهي اللغة التي خاطب بها العباسيون رعيّتهم وأنصارهم، ودعوى أنّهم هم أهل البيت دعوى تتركز فيها حالة العداء والتنافس لأهل بيت النبي من آل علي

اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم، فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم،
وأثمهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار، واقتل
من شككت فيه، وإن استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعربية
فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمة فاقتله^(١).

وبهذا انتهج العباسيون منذ ذلك الحين سياسة تصفية الخصوم، والقتل على الظنة
والتهمة، وسار خلفاؤهم على هذه السياسة من البطش والتنكيل بأدنى معارضة
تصدر، فهم يتهمون الجميع في ولائهم، حتى صنف إبراهيم الإمام معارضي
الدعوة العباسية إلى أربعة أقسام:

أولاً: ربيعة، فإنهم متهمون في ولائهم للعباسيين، فولاء ربيعة علوي يتطلعون
لآل عليّ ويتشوقون لخلافتهم، وهم بعد ذلك قليلو الحظ من نصرة العباسيين
وتأييدهم.

ثانياً: المضربون، وهم أصحاب ولائ أموي، لا يرون لغير الأمويين بديلاً؛ فلذا
عبر عنهم بأنهم «العدو القريب الدار».

لله صلوات الله عليهم؛ لذا حاول العباسيون أن يسوقوا فكرة انتسابهم لآل البيت لعقدة النسب
التي كان يعاني منها بنو العباس، فضلاً عن شعورهم بمنافسة آل علي بنسبهم التليد هذا،
والذي يأخذ مأخذه من قلوب المسلمين فينزلونهم بمنزلتهم العظيمة، في حين يبقى العباسي
يعاني من عقدة هذا الشعور، فهو يحاول أن يعزز فكرة الانتساب هذا بطرق عدة ليقطع
الطريق على المعارضة العلوية التي تطالبه - على الأقل - بشرف الانتساب للنبي وكونهم
سلالته وذريته، فضلاً عن تعزيز فكرة أن آية التطهير تشمل حتى العباسيين؛ لأنهم من آل
البيت المقصودين في الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً﴾ الأحزاب: ٣٣. فهم مشمولون بالعصمة، ومعنى ذلك: أنهم منزّهون عن ارتكاب
القبائح، وكل ما يفعله العباسي يدخل في نطاق العصمة، ولا يُعدّ خرقاً للمحذور الشرعي.

عبر عنهم بأنهم «العدو القريب الدار».

ثالثاً: كل من تكلم العربية، والظاهر أن ذلك إشارة إلى أن التشيع في خراسان عربي الأصل، والذين يتكلمون العربية هم من شيعة علي، بل هم نواة التشيع في خراسان، لذا فإن إبراهيم الإمام يتوجس من كل من تكلم العربية، وهذا التحذير أثبت أن هوية التشيع هي العربية، وهو أمر يشير إلى أولئك البائسين الذين ينظرون إلى أن التشيع فارسي الأصل، وأن كل شيعي يحمل معه الهوى الفارسي، في حين يطالنا هذا النص خلاف ما أشاعه بعض المؤرخين الجدد الذي يحملون في عباراتهم تهمة الفارسية لمذهب التشيع، بل بالعكس، فإن تشيع الخراسانيين عربي الأصل وإن كان ينتسب إلى العرب بالولاء، ولذا أشار إبراهيم الإمام على أبي مسلم من أن يخلي خراسان من العرب الذين هم شيعة علي.

رابعاً: اليمينيون، فهم معروفون بمقامهم ومنزلتهم في خراسان، وهم وإن كانوا شيعة علي إلا أن الدعوة العباسية لا تتم إلا باستقطاب هؤلاء اليمينيين إلى هذه الدعوة الجديدة؛ ليضمنوا ولاء الخراسانيين لبني العباس، فإقناعهم يتطلب أمراً كبيراً وجهداً استثنائياً تتطلبه كفاءة أبي مسلم الخراساني. وهنا نقف على جهود اليمينيين - شيعة أهل البيت - وهم أشعرية اليمن في بذل الجهود الأولى في تشيع الخراسانيين الفرس، وبذلك فالتشيع الفارسي عربي الهوى والهوية.

أبو سلمة الخلال العباسي الكوفي المتمرد

وتنتقل الدعوة العباسية منعطفاً جديداً بعد مقتل إبراهيم الإمام، الذي أوصى إلى أخيه أبي العباس السفاح، والانتقال من الحُمية قرب المدينة - التي اتخذها

العباسيون منطلقاً لدعوتهم باستقبال الحجيج القادمين من كل البلدان ليطرحوا عليهم دعوتهم بعيداً عن عيون الأمويين ورجالهم - إلى الكوفة ذات الولاء العلوي، وقد انضم في هذه الأثناء رجلٌ كوفي يسمّى بأبي سلمة الخلال، وعمل مع العباسيين وساعدهم وهم في الكوفة، إلا أنّ أبا سلمة الخلال هذا عدلَ عن الدعوة العباسية وانحاز إلى العلويين. ولم يقف المؤرّخون على أسباب هذا العدول المفاجئ، إلا أنّنا نحتمل أنّ أبا سلمة الخلال حينما دخل إلى الدعوة العباسية السريّة دفعه ولاؤه لآل البيت ظناً منه أنّ العباسيين يمثلون تطلّعات العلويين وآمالهم، إلا أنّه اكتشف بعد ذلك عداء العباسيين لآل علي والتخطيط لمحاولة تصفيتهم، وحقدّم غير المبرّر لآل البيت عليه السلام، وهم مع ذلك يسعون في جملة أهدافهم إلى القضاء على المجموعة العلوية المنتسبة لآل البيت، والتي تتحرّك الدعوة العباسية على أساس النصرة لها، وهو نفاق سياسي ديني لم يعجب أبا سلمة الخلال، ممّا دعاه إلى الانقلاب عليهم وإيجاد بديل علوي يخلف العباسيين في تنظيمهم ضدّ الأمويين. هذا أغلب الظنّ الذي نحتمله هنا في تحوّل الخلال من التنظيم العباسي إلى محاولة إقناع العلويين بتوليّ زعامة المعارضة الأموية.

إلا أنّ أبا سلمة الخلال أخطأ في حساباته، فقد ظنّ أنّ هناك ثلاثة بدائل، وسيتفق أحدها معه ويَقبلُ بعرضه، وهم: الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وعبدالله بن الحسن المحض، وعمر الأشرف.

أمّا الإمام الصادق عليه السلام فقد رفض دعوة الخلال، وأحرق كتابه بالمصباح الذي كان أمامه، نافياً بذلك قبول أيّ حركةٍ تنظيميّةٍ بهذه الصيغ المنطلقة من نقاشات

سياسية غير شرعية، ومصالح دنيوية شخصية، ولم يكن الخلل يمثل تطّلات الأئمة عليهم السلام في إقامة دولتهم، ولا طموحاتهم في الوصول إلى هدفهم وهو إقامة دولة الحقّ، ممّا دعا الخلل أن يعرض الأمر على عبدالله بن الحسن المحض، الذي أخذ بوعود الخلل واغتراره بالاندفاع في صنع القيادة البديلة عن بني العباس، ويدّو أن العباسيين كانوا قد وقفوا على حركة الخلل وقبول عبدالله بن الحسن، ممّا دعاهم إلى قتل الخلل، والتوجّس من عبدالله بن الحسن، الذي آل أمره بحبسه في عهد المنصور وقتل أبنائه بعد خروجهم على المنصور، ومواصلة العداء التقليدي بين العباسيين وبين بني عبدالله الحسنيين، بل قل بين العباسيين وآل عليّ عموماً؛ ممّا عرّضهم إلى التنكيل والتصفية والقتل على يد العباسيين، الذين لا يزالون ينظرون إلى آل عليّ بأنّهم المنافسون التقليديون الأقوى من بين كلّ فصائل المعارضة الأخرى.

تأريخية التنافس بين العباسيين

هذه هي حيثيات التأسيس للمنظمة السريّة العباسية التي جاءت على أنقاض جهود التأسيس العلوي الذي بدأه أبو هاشم أول الأمر. من هنا نقرأ فلسفة التنافس الذي أحاط بتحركات العباسيين، وكيف أن هؤلاء الساسة المحترفين يمثّلون طموحات السياسي المحترف الذي من شأنه أن يسحق قيمه ومبادئه من أجل تحقيق الفوز السياسي الذي يؤهّله لتبوء مناصب الدولة، متنكراً بذلك لجميع حلفائه، وإذا كان الأمر كذلك فلا نستبعد ممارسات العباسيين القمعية مع حلفائهم التقليديين ليحيلوهم إلى أعداء تقليديين، وبذلك كانت حركة الدعوة العباسية

مزدوجة، وهو العمل على إسقاط الأمويين كدولة قائمة، وكذلك إقصاء المعارضة العلوية المنافسة للعباسيين في طموحاتهم.

إذن لم يكن الصراع العباسي العلوي صراعاً طارئاً وليد أحداث ما بعد تأسيس الدولة، بل هو صراع أيديولوجي تنظيمي أطلق شرارته العباسيون في بادئ الأمر، وأذكى روحه العباسيون أصحاب الدولة، متجاهلين بذلك دور آل عليّ في إسقاط أنظمة الحكم الأموي، وتنظيم الحركة الثورية التي أطاحت بآل أبي سفيان، ومصادرة جهود العلويين وإحالتهم إلى أعداء ومعارضين مطاردين يُنكَل بهم في كل موقع من ساحات الصراع السياسي والاجتماعي والديني، وهو أهمها، بل أشدها.

من هنا ستكون القراءة التأسيسية للدعوة العباسية ولدولتها تمهيداً لفهم مجريات الأحداث التي أحاطت بحياة الإمام الجواد عليه السلام، والذي عانى بشكل لا يمكن تصوّره من المنافسة العباسية التقليدية التي تسحق معها كل المبادئ والقيم، والتي من شأنها أن تتخذ معاناة الإمام الجواد عليه السلام مع رجال الدولة العباسية، بل مع الآخرين من معارضيه الدينيين منحىً جديداً تُستحقّ معه الدراسة والتمعّن والتحقيق.

«والله ليجعلنّ الله منّي ما يثبت به الحق وأهله، ويمحق الباطل وأهله»^(١).

هكذا كان علي بن موسى الرضا عليه السلام يقرأ غيب السماء في ولده القادم «محمد» إنّه الوريث الوحيد لإمامة حافلة بالتحديات التي تحيق بإمامة عليّ الرضا، وقد خرج توّاً من معترك الشبهات التي أثارها «الواقفة» على إمامة أبيه. إنهم كلاب

«مطورة»^(١) كما وصفهم الرضا من قبل؛ ليخرج من جولات تحدّياتهم منتصراً، مثبتاً لهم ولغيرهم إمامته الإلهية....

قراءة في الصراع العباسي - العباسي

كان الجوّ ملبداً بتحدّيات السياسة، فالمأمون لم تنته سباقات تنافساته مع أخيه الأمين بعد... والغلبة الآن للحكمة وللحصافة، فليس للأمين وهو بين عباسيين خطوة الانتصار، فهو خائر أمام رغباته وأهوائه وليس لنفسه الانقياد، لا لأهوائه الجامحة التي فتكت به أخيراً وألقت برأسه يتدحرج تحت أقدام من أحسن اللعبة مع أخيه المأمون، إنّه الحسين بن طاهر، ذلك القائد الطموح الذي لم يمهل الأمين أن يتنازل عن كرسيه بعد مفاوضات مع هرثمة بن أعين الذي أحب أن يصلح أمر الأمين ويبقى على حشاشة نفسه^(٢).

هكذا كانت أجواء السياسة العباسية... مراجل تغلي بالأحقاد والتنافس، ونفوس طامحة إلى الأثرة السياسية الجامحة..

ولم تكن السياسة قد ألقت ثقلها على جهة التحديّات الأسرية لبني العباس فحسب، بل كانت تبعات هذا الانفلات تشحن النفوس الموتورة أن تروّض في حُمّى التشكيك بإمامة الرضا الذي لم يولد له ولدٌ بعد...، أي كان هذا التنافس الأسري العباسي يلقي بظلاله على ساحة الأحداث..

وكانت الأحداث مأخوذة في حمى الصراع بين قوميتين، تُراهنان على هوى

(١) انظر هامش إكمال الدين، ص ٩٣.

(٢) انظر الأخبار الطوال للدينوري: ٣٩٩.

الأطراف في تقديم عنصر على عنصر، وقومية على أخرى، وكان العرب يتوجّسون من تقدم الفرس لدى المأمون، وخشية بني العباس أن ينحاز الأمر للفرس بتوليّ المأمون قيادة السلطة، وهاجس التنافس محموم في نفوس هؤلاء ومأخوذ بالجدّ في همّ أولئك.

وشأن القلّة من الغرباء أن يلتمسوا مواضع التقدم على حساب غيرهم، فأثيرت هواجس العباسيين من أولئك القادمين... ولا ننسى ما للفارق العقائدي من عظيم خطر في إذكاء روح التنافس، فظنّ بنو العباس أنّ الفرس أنصار العلويين وسيستأثرون بالأمر؛ لما للفرس من هوى التشيع ومحبة آل عليّ، وهي وراثية ورثوها يوم كان «الحمراء» بعض رعية الكوفيين في عهد عليّ (ع) الخليفة.. الإنسان... القائد... الأنموذج في كلّ تعاملاته مع رعيته، وكان له الأثر في رفع الحيف عن أولئك المستضعفين من حمراء فارس، حتى أزال عنهم ما عانوه أيام الخليفة الثاني من تحقيرهم والازدراء بهم، فكان عاقبة أمره اغتياله على يد بعضهم ثاراً لحقوقهم المهدورة في عهده.

وكان فرق العهدين: أن انتصروا لعلّيّ الإمام وناصروه وأحبّوه وشايعوه، وأخفّوا بغضّهم للخليفة الثاني؛ لإسرافه في الإمعان بعزلهم ونقص حظوظهم من العطاء، وحثّ أصحابه على إخراجهم من جزيرة العرب، كما صرّح هو به في أخريات حياته.

هذه دواعي حبّ الفرس لعلّيّ (ع) وهي الدواعي ذاتها في محبة غير الفرس لعلّيّ (ع)، والإنسان رهين الإحسان، فكان عليّ (ع) الإحسان في كلّ أموره، فلم يكن التشيع لعلّيّ (ع) موقوفاً على الفرس وحدهم، ولم يكن حبّه مرهوناً لقومية

دون أخرى، فحبّ عليّ إنسانيّ يستعذبه كلّ إنسانٍ مولود على فطرة الخير والكمال.



كان الفضل بن الربيع «عروبيّاً» على ما يبدو، يثار لقوميته من أولئك البرامكة «الغرباء» الذين قدموا من بلاد فارس، فظلّ الفضل على «عروبة» الخلافة العباسية، وكانت لهذه القومية آفة التطرّف في حسم الأحداث لصالحها، وهذا آفة كلّ قومية، فحرّض الأمين أن ينازع أخاه المأمون، وعاضده عليّ بن عيسى بن ماهان الذي أنف تقدم العنصر الفارسي بتقدم المأمون، فعمد على التنكيل بهؤلاء «الفرس»، الذين تظاهروا على عروبة هؤلاء، هكذا تخيل علي بن عيسى بن ماهان والفضل بن الربيع ومن هم على شاكلتهما في إحداث الشغب بين الأخوين، فدفعاً محمد الأمين على خلع أخيه المأمون ومبايعته ابنه بولاية العهد، وكان ذلك لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة (١٩٤)، فقام إلى العهود التي كتبها الرشيد فحرقها، إمعاناً في نقض العهد ومخالفة المواثيق... ولم يكن أهل خراسان قد خفّوا لهذه البيعة بنقض تلك العهود، وكأنّ الخراسانيّين ثأروا لخولّتهم في المأمون من أمّه الفارسية «مراجل» تلك الجارية السوداء، قليلة الحظّ من بين جوارى الرشيد، والداخلّة في خدمة سيدة القصر العباسي «زبيدة» والدة الأمين. وأتّى لبني العباس أن يُقنعوا أنفسهم بطاعة المأمون فيتغلّب بذلك عنصر الفرس ولتكون لهم الحظوة والسطوة من خليفتهم القادم «المأمون ابن مراجل الفارسية».



هكذا كان الصراع بين القوميتين يؤججه أصحاب المصالح.. وتبعث فيه الحياة دواعي الأنفة والمكابرة بين الفريقين، فيأخذ هذا ما حظي به نسبة من التقدم في أمر الخلافة، ويستأثر الآخر ما ميّزته الفطنة في مستقبل الخلافة، فالأمين يفخر بحسبه العباسي، والمأمون يتفاضل بفطنته وذكائه.. ويتميّز الأمين باللهو والإسراف، ويتفرد المأمون بالجدّ والإسفاف، وبين اللهو والجدّ.. والإسراف والإسفاف.. هوة ساحقة من التقدم والجدّ والمثابرة... ومن هذه الهوة يتترس الجدّ في جانبٍ، واللهو في آخر.. ومنهما تنشأ محاسن الطرفين ومثالب الفريقين.. ومن سعيهما تتحقق آمال الأنصار وتكبر أحلام المؤيدين... وتأخذ حلوم ذوي الشأن حظوظ الجدة والأثرة من الأنصار الأوفياء وجماهير المؤيدين.. وتتقاسم مصالح العامة، فلم يجد من يُديم النظر فيها ليكشف عنهم عادية البلاء، ويُزيل عنهم حيف اللأواء، ويجنبهم مواضع الشرّ ووحشة الفتن، ويمنعهم بوائق العدوان عند إثارة الشغب ليأخذهم إلى حيث الأمن والاستقرار... ولم يجد فرقاء النزاع مندوحة التصبر عن طيّ صفحة التنافس؛ حتى ألقوا الأمور على كاهل الحسد والأثرة، وأرخوا زمام المصالح فألقي الجميع في حضيض نزاعٍ انتهى إلى قتل المأمون للأمين، وانحاز كل فريقٍ إلى حيث أهواؤه ومطامعه.



لم يسع المأمون إلّا أن يعارض ما صدر من نزق الأمين ليواجهه بالحلم، وطيشه بالجدّ، ولهوه بالمثابرة، وبطشه بالعفو، وإساءته بالإحسان، وجهله بالحكمة، ولا نوعز هذا التباين في جيلة المتناقضين إلى عفوية الحال، أو صدفة الأمور، بل كان ذلك لرغبة المأمون أن يحتلّ مكانة الحرم في قلب الرشيد

«الخليفة»، ورعاية الحشمة في نفوس بني العباس «الحاشية»، وسمة الورع في أذهان العامة «الرعية»، وهذه -لعمرى- مقومات السلطان، ودواعي ولاية العهد فيما إذا رغب الرشيد إناطة الأمر إلى أحدهما يوم ترجح الكفاءة على رغبات العاطفة، وتلتبس مقاييس الأهلية حين تحكم في الاختيار...

ولعلّ للنسب والحسب شأن في تقرير مصير ما آل الأمر إليه من اختيار الأمين ولياً لعهد الرشيد، وكان للمأمون حظّ الإمرة والولاية تبعاً إلى أخيه الأمين... وكان الرشيد يعلم فوارق النقيضين فيسجّل شهادته لولديه بقوله:

....وقد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصيره إلى من أرضى سيرته، وأحمد طريقته، وأثق بحسن سياسته، وآمن ضعفه ووهنه، وهو عبدالله، وبنو هاشم مائلون إلى محمد بأهوائهم، وفيه ما فيه من الانقياد لهواه، والتصرف مع طويته، والتبذير لما حوته يده، ومشاركة النساء والإماء في رأيه، وعبدالله المرضي الطريقة، الأصيل الرأي، الموثوق به في الأمر العظيم، فإن ملت إلى عبدالله أسخطت بني هاشم^(١)، وإن أفردت محمداً بالأمر لم آمن تخليطه على الرعية..^(٢).

ولا نرجّح ما رجّحه الرشيد في أمر التفاضل على واقعه، بقدر ما ننقل صورة المأمون التي حاول أن يحسنها للعامة تهالكاً على السلطة، وطمعاً في الإمرة،

(١) يعني بذلك: بني العباس دون آل عليّ، فإنّ العلويين ليس لهم شأن في الرغبة عن هذا وتقديم ذاك فيما يخصّ خلفاء بني العباس، الذين لم يشاركوهم في الأمر، ولم يقرّوا لهم بشيء.

(٢) مروج الذهب ٣: ٣٨٦.

وليس دخيلة المأمون أظهر من سيرة الأمين، ولا سريره بأثقى من طيش أخيه، إلا فيما يسبقه بحسن التدبير، والاحتيايل بحظوة الترشيح، والتنافس على استئثار أحدهما على الآخر حسداً وطمعاً..



ولعلّ للمأمون دواعيه في انبثاق ذلك السلوك الذي ميّزه عن أخيه، فشعوره بالعزلة من قبل بني أبيه ونظرهم الدونية له دعتة إلى تأسيس سلوك آخر في التعامل والرغبة في لفت الأنظار إليه...، فالعباسيون لم يقتنعوا بانحدار المأمون من خُوْلته الفارسية بسبب أمّه مَراجل، الأمة المعروفة بعدم حظوتها بين نساء القصر، فهو في العرف العباسي ابن أمة، غير جديرٍ لتقلّد أية مسؤوليةٍ ترفع من مَحْتَدِهِ^(١) الحقير.. ولا بدّ للمأمون أن يسلك سلوكاً يرتفع على هذه النظرة الخسيّة التي قلّدها إليه العباسيون، فإذا تمرّد على تقاليد حياة البلاط وتقاليد الإمارة من اللهو والمجون والعبث فإنّه يتمرّد الآن على تقاليد بني أبيه العقائدية، التي ما برحت تُقدّم أبا بكر وعمر على عليّ (ع)، وتحاول عبثاً أن تنيط الحق إلى غير علي (ع)، غير آبهة بمسلّمات أحقية الخلافة ووصاية الرسول (ص) لعلي (ع)، وقد رواها العباسيون يوم كانوا يستجدون استعطاف الناس لهم، وميل القلوب إليهم، كما استجدّوا بهذه الفضائل لقمة العيش، ومحابة الناس، واستعطاف قلوبهم، وقد فعل ذلك أبو جعفر المنصور قبل تسلّمه الحكم، وقد كان صُعلوكاً يجوب مواطن

(١) المَحْتَد: الأصل والطبع والمقام والمنزلة والخالص من كل شيء. لسان العرب ٣: ٤٠ (مادة: حتد).

الاسترزاق ومظانّ التقمّم...

وإذا خالف المأمون بني أبيه في عقيدته فإنه مدفوع بالانتقام من تقليدية هؤلاء ليصبح مثار الانتباه ومآل اهتمام أهله وذويه، وليتحدّثوا به بعد أن كان مغموراً في خسة النسب، ومهماً في بُعد شقة الخوالة الفارسية، وليحذر منه بنو العباس فيحسبوا فيه حسابهم، ويأخذوا منه حذرهم، ويحتشموه موثقاً بعقيدة العلوية الزاحفة إليهم خلف الأسوار العباسية الموصدة، فضلاً عما سيملكه من رصيد قوة الفرس الذين دخلوا البلاط منافسين للترك، ومبارزين للروم في حصولهم على خطوة القرب في البلاط العربي بما كان هؤلاء الفرس ينحازون في هواهم لعلي وآل علي عليه السلام؛ مكافأةً منهم على رفع الحيف منهم يوم كان عليّ حاكم الكوفة وخليفتها، فقد نظر إليهم؛ ضحية العصبية القبلية حين كانت الكوفة تفاخر بقبائليتها وتفخر على كل عنصر من غير العرب، تمسكاً منهم بما جعله الخليفة عمر تقدماً لهم على غيرهم، وشدّد على الفرس بأن يخرجوهم من جزيرة العرب إلى حيث لا يراهم هو وقبيله ممّن هم على سنته وهواه في قوميتهم العروبية، حتّى أنه أنقص حظوظ الفرس من العطاء، وزاد للعرب في أعطياتهم دون مراعاة «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (١).

هكذا نشأت دوافع الفرس في حبّها لعلي وآل علي عليه السلام، لا لصدفه الاتفاق، أو وثبة النزق، أو طيش التعنّت، أو هوى العصبية، بل لداعي الفطرة، وانبعاث الوفاء في النفس الإنسانية بميلها إلى من أحسن إليها، فإنّ الإنسان مجبول على حبّ الإحسان، وإذا كان الفرس تواقين لآل علي عليه السلام في هواهم، فما الذي يمنع المأمون

أن يدين بدينهم إنساناً يأخذه حبّ علي، ويملك فيه عافية التطلع إلى حياة علي عليه السلام؟ ذلك الإنسان الذي يملك من مواصفات الخلافة الإلهية ما لا يملك غيره، وقرأ المأمون في علي عليه السلام سيرة المجاهد كما يقرأ فيه سيرة الزاهد، ويتطلع إليه عالماً كما يسبره حكيماً، ويبكيه مظلوماً كما يعرفه جاداً في انتزاع حقّه لولا حرصه على سلامة الإسلام، وبقاء الدين، ووحدّة الأمة من الضياع....

فإذن «علي عليه السلام» ملحمة الإنسان المجهول الذي حاول بنو العباس أن يُزوّوه عن مخيلة الباحث عن الحقيقة، ويتجاهلوه حرصاً منهم على أن لا تقوم لبنية قائمة، ويهملوا ذكره سعيّاً وراء إخفاء ما يملكه بنوه من رصيد المحبة في قلوب الناس، وهم المعارضة الخفية لسلطان العباسيين، وكل هذا لا يُثني عزيمة الباحث عن الحقيقة في علي وآل علي عليه السلام، والمأمون باحثٌ من الباحثين، ومقتفٍ لآثار الأولين، وفرق بين الباحث عن الحقيقة وبين المعتقد بها، فلربّ من يقف على الحقيقة كمطلع، وربّ من يتابعها كمعتقد، وربّ من تدعوه دواعي الرغبة في معرفة ما تخفيه دواعي الحسد، ودوافع الانتقام، وكأنّ المأمون ثالث ثلاثة في اقتفاء الأثر، ومعرفة الجدّ في رغبة بني أبيه بإخفاء معالم علي عليه السلام، فجَدَّ منهمكاً في متابعة الحقيقة دون اتّباع الحق، وكان حريصاً كلّ الحرص على إبراز ما أخفاه المنافسون له من بني أبيه تنكيلاً منه بهم، وتحقيراً لدعواهم في أحقيّتهم للخلافة دون طائل، وإمعاناً منه في إطفاء سورة المكابرة وقد أشعرتهم بأنهم ظلّ الله في أرضه، وهم أهل بيت النبي ﷺ مناجزة لأهل بيت النبي، علي عليه السلام وبنيه...

إذن لم يكن المأمون متسليحاً لعلي عليه السلام بقدر ما عني في معارضة بني أبيه، تمرّداً منه عليهم، وبحثاً عن الحقيقة دون الاعتقاد بها، وتثبيتاً للحقّ من غير اعتراف به،

وطلباً للواقع خلافاً لما أظهره مع آل علي كما سيأتي... فضلاً عن إحراز رضا
الفرس في دعواه التشيع لعلّي؛ ليضمن بذلك مناصرتهم في دفع المعارضين له من
بني العباس، وحرصاً منه على كسب ودّ العلويين الثائرين، وسنجد أنّ عصر
المأمون حفل بثورات المعارضة العلوية، كخروج أبي السرايا، السري بن منصور
أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان، ومناصرة بعض العلويين له، كالحسن بن
الحسين بن زيد، ومحمد بن محمد بن زيد، والحسن بن إسحاق بن علي بن
الحسين، ومحمد بن الحسين بن الحسن، وعلي بن عبد الله بن محمد. وكمبايعة
أهل المدينة لمحمد بن جعفر بن محمد عند خروجه على المأمون وخلع نفسه عن
البيعة بعد معارك يطول ذكرها، إلى غير ذلك من خروج العلويين عليه، وخطورة
ذلك تكمن في كون المأمون خرج تَوْأماً من أخطر معاركه منتصراً على أخيه الأمين،
تاركاً في قلوب بني أبيه شعور الخيبة في انشقاق عصبة الخلافة العباسية، وانخراط
عصمة الرحم بين وريثي البيت العباسي في الخلافة، وهي أول حالة تقصم فيها
عرى الإخوة بين متنافسين ينتهي أمرهما بأن يُطَوّف برأس أحدهما في آفاق
البلدان، وهو أمر لا يرتضيه العباسيون، حتى يعلنوا تذمّرهم على المأمون ببيعته
لعمّه إبراهيم بن المهدي المغنيّ المعروف، رافضين بذلك المأمون، محتملين ما
يصيبهم من عنت الطعن واللوم على سوء الاختيار لهذا المغنيّ الماجن، وهو أمر
يكشف عن مدى لجاجة الأحداث في أن تصل إلى هذا الأمر... ومن هذا فعلى
المأمون أن يأخذ حذره من تمرّد محسوبٍ يؤدي به وبملكه، فما السبيل إلى ذلك؟

ولعلّ بعضهم يذهب إلى غير ذلك، فهو يرى أنّ طبع المأمون كان مجبولاً على حبّ آل علي عليه السلام دون تكلف المجاملة، أو التربّص في إرضاء الخصوم العلويين الذين باتوا يرون ملاحاة العباسيين لهم في العداء أمراً تقتضيه جبلة التنافس، وطبيعة الحريص على اقتناص فرص الغلبة في بسط هيمنة السطوة على غيرهم من منافسيهم، ونقرأ فيما أرّخه ابن الأثير في كامله أنّ المأمون لم يتصنّع العطف أو يتكلف الحب، أو يستأثر الشفقة على العلويين درءاً لخطر التهالك في الحصول على حطام الملك، أو دفعاً لاحتمال الأسوأ في اتخاذ بعض ما يلومه عليه بنو أبيه من تقديم آل علي في حظوة التكريم وبسط أسباب التبجيل، أو كلّ ما من شأنه أن يرفع من مقامات آل علي عليه السلام؛ محتملاً لوم اللائمين وتعنيف العاذلين من بني أبيه. قال ابن الأثير في كامله: قال أبو العباس أحمد بن عبدالله بن عمار: كان المأمون شديد الميل إلى العلويين، والإحسان إليهم، وخبره مشهور معهم، وكان يفعل ذلك طبعاً لا تكلفاً، فمن ذلك أنّه توفي في أيامه يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين العلوي، فحضر الصلاة عليه بنفسه، ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما تعجّبوا منه، ثم إنَّ ولدًا لزينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس - وهي ابنة عم المنصور - توفي بعده، فأرسل له المأمون كفنًا، وسيّر أخاه صالحاً ليصلّي عليه، ويعزي أمّه؛ فإنّها كانت عند العباسيين بمنزلة عظيمة، فأتى إليها وعزّاها عنه، واعتذر عن تخلّفه عن الصلاة عليه، فظهر غضبها وقالت لابن ابنها: تقدم فصلّ على أبيك، وتمثلت:

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسِبُهُ لُجَيْنًا فأبدى الكير عن خُبث الحديدِ

ثم قالت لصالح: قل له: يا بن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد

لوضعت ذلك على فيك وعدوت خلف جنازته^(١).

ولم تجد ما يعزّز نظرة أولئك الذين مالوا إلى تشيع المأمون أو أفرطوا فيه بوصفهم أنّ المأمون قد غالى في تشييعه، كما عن الذهبي في تاريخ الإسلام سنة (٢٠٠ - ٢٠١) ما يضمن لنا قوة الحجّة في هذه المقطوعة التاريخية، فلربّما كان يدفعه موقف من مواقف الخطر السياسي الذي أحدق بالمأمون وشيعة عليّ يترصّون به، فأراد بذلك دفع غائلة الثورة والتمرد، أو ربّما كانت شبهة اغتيال المأمون للإمام الرضا عليه السلام تحقيق بالمأمون فيتوجّس من خلالها الفوائل، ويدراً في ذلك عادية الثورات العلوية، أو - لنحسن الظن في هذه الواقعة أن نقول وعلى أحسن تقدير: - إنّ المأمون كان يعجبه آل أبي طالب، فكان توّاقاً في مواصلتهم والحرص على برهم، لا لعقيدة الإيمان فيه، بل لجبلة الفتوة التي فطر عليها المأمون، فأحب فتوة الطالبين الموروثة من فتوة علي وآله الطيبين، وإلّا فليس ذلك ما يبرّر تشييع المأمون وانكفائه على عقيدة يعلم فيها نهاية ملكه وحمية مآله.

ولعلّ ما يدور في خلد العباسيين، وما يجري في أروقة القصر من التهامس بين الساسة وأنصار العباسيين وقادة الأحداث وأولي الأمر، وما يدبّ بين العامة فيما تلقيه الخاصّة من كون المأمون قد مال في هواه لآل علي، وغلب عليه نصرتهم، وأخذ بحبهم دفع بالمأمون أن يعتذر لقاضيه يحيى بن أكثم مقرر عقيدة القصر، والسائس لتوجّهات البلاط العباسي، والمعروف بعدائه لآل علي وأنصارهم من أنّه مأخوذ بتهمة العدا للصحابة، وقد خرج توّاً من مناظراته في الدفاع عن أحقيّة

(١) الكامل في التاريخ، ٤٣٨/٦. عصر المأمون لأحمد فريد رفاعي: ٣٦٨.

علي عليه السلام في الخلافة وتقديمه على بقية الصحابة، وهو أمرٌ يستحق عليه صاحبه في نظر «الآخر» أن يوصم بتهمة العدا لصحابة النبي صلى الله عليه وآله، وهو سلاح طالما استخدمه أولئك المقلدة من أجل إفشال أي مشروعٍ إصلاحيّ لبيان حقائق تاريخ الأمة، وتهمة العدا للصحابة بضاعة جاهزة بخسة الأثمان يسوقها تجّار السياسة وقادة الفتن وأصحاب الأهواء المتناحرة، وكأنّ المأمون قد توجّس من نتائج مناظرةٍ عقدها مع فقهاء بغداد وأهل العلم منهم في أمر الخلافة، فأراد أن يبعث برسالة طمأنة إلى الخاصة من المقلدة وعامّتهم، وهاجس الإصلاح وتوجّسات التغيير تدور في أذهان أهل الحلّ والعقد، من ساسة العقائد الحاكمة والأهواء السائدة يومذاك. فقال المأمون لابن أكنم: يا أبا محمد، كرّه هذا المجلس الذي جعلناه للنظر طوائف من الناس، بتعديل أهوائهم وتزكية آرائهم، فطائفة عابوا علينا ما نقول في تفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام، وظنّوا أنّه لا يجوز تفضيل عليّ عليه السلام إلّا بانتقاص غيره من السلف! والله ما أستجيز أن أنتقص الحجاج فكيف السلف الطيب؟! وإنّ الرجل ليأتيني بالقطيعة من العود أو بالخشبة أو بالشيء الذي لعلّ قيمته لا تكون إلّا درهماً أو نحوه، فيقول: إنّ هذا كان للنبي صلى الله عليه وآله، قد وضع يده عليه أو شرب فيه أو مسّه، وما هو عندي بثقة، ولا دليل على صدق الرجل، إلّا أنّي بفرط النية والمحبة أقبل ذلك فأشتريه بألف دينار، أو أقلّ أو أكثر، ثم أضعه على وجهي وعيني وأتبرّك بالنظر إليه وبمسّه، فأستشفي به عند المرض يصيبني، أو يصيب من أهتمّ به فأصونه كصيانتي لنفسى، وإنّما هو عود لم يفعل شيئاً، ولا فضيلة له يستوجب المحبة إلّا ما ذكر من مسّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف لا أرعى حق أصحابه وحرمة من قد صحبه، وبذل ماله ودمه ودونه، وصبر معه أيام الشدة وأوقات

العسرة، وعادى العشائر والعماائر والأقارب وفارق الأهل والأولاد، واغترب عن داره ليعزّ الله دينه ويظهر دعوته؟!

يا سبحان الله! والله لو لم يكن هذا في الدين معروفاً لكان في الأخلاق جميلاً! وإنّ من المشركين لمن يرعى في دينه من الحرمة ما هو أقلّ من هذا. معاذ الله ممّا نطق به الجاهلون...^(١). إلى آخر ما يعتذر به إلى يحيى بن أكثم، وما يسوّغه من دفاعه عن عليّ عليه السلام في حقّه وعن مذهبه في تقديمه على غيره، وهو بعد لم تثبت لنا صحة اعتقاده الشيعي أو إيمانه الراسخ، ففي مناورات السياسة ما تخفي الأحداث وراءها مقاصد التناحر ودواعي التنافس، ومقتضيات التصفيات السياسية، وقتل الخصوم، وكان علي بن موسى الرضا عليه السلام بعض من نالته كؤوس حتوف الاحتراب السياسي والتنافس المحموم بحمى تداعيات الأثرة والتهالك على حطام السلطان.



لم يسع المأمون إلّا أن يأخذ حذره كما قلنا، فما الذي يفعله غير أن ينقلب على تقليدية آبائه في عدائهم لآل علي، حتى يعمل على تقريب الإمام علي بن موسى الرضا ويتشفّع عند العلويين بتوليته ولاية العهد، فضلاً عمّا سيحدثه المأمون من التلويح لبني أبيه بإخراج الأمر منهم إلى معارضتهم من آل علي، إن لم يحسنوا مع المأمون التصرف ويعملوا معه على إدارة الأمر، والقضاء على تمرّدات العلويين وثوراتهم، أي سيجعل ولاية العهد قوةً ضاغطةً على الوجود العباسي، مهدّداً أيّاهم على مصادرة مجدهم وهيبتهم، وكسر شوكتهم، أي كانت ولاية العهد للإمام

(١) عصر المأمون: ٣٦٩ لأحمد فريد رفاعي عن تاريخ بغداد.

الرضا عليه السلام من قبل المأمون رسالة مفتوحةً قرأ فيها العباسيون حاضريهم واستشرفوا فيها مستقبلهم، ممّا دعاهم إلى التخلّي عن عزمهم في الإبقاء على إبراهيم بن المهدي بدلاً عن المأمون، ومقابل هذا أن يقصي المأمون الإمام الرضا عن ولاية العهد بتصفيته سماً واغتياله، إرضاءً للنزعة العباسية، وتمت الصفقة الخسيصة بين الطرفين، فشلت يد البائع، وتبت يمين المشتري.



حاول المأمون دون جدوى أن يضع الأمر في عنق الإمام، مختبياً خلف نوايا عدة، والإمام كان رافضاً له أشدّ الرفض، محبطاً بذلك مشاريع المأمون، وساعياً إلى تحويل ما عزم عليه المأمون من فتح إلى هزيمة، ومن نصر إلى خذلان، ومن نجاح إلى إحباط، فالمأمون أراد أن يدخل اللعبة منتصراً بما يحسنه من تدبير السياسة، والإمام عاجله في إفشال اللعبة بما يملكه من حكمة التبصّر في عواقب الأمور، والمأمون أضعف من أن يجعل الإمام سبباً في تنفيذ مآربه، أو قنطرةً توصّله إلى تحقيق مصالحه، والإمام أجلّ من أن يُصغي للمأمون أو يركن إلى زبرجة وعوده، فالإمام لا يرفعه ما يمنحه المأمون من خلافة مزعومة، وسلبيته حيال عرض المأمون كشف عن تداعيات خلافة بني العباس غير المشروعة، والإمام لا يحول عنه أحد دون الخلافة الشرعية، فهو لم يكن في يومٍ ما محتاجاً إلى عرض المأمون، أو مخذولاً من إزواء الرشيد، فخلافتهم ملك دنيوي، وخلافته نصّ إلهي.

وهذا أمر جدير بالتأمل والتبصّر بما آلت إليه الأمور... فعرض الخلافة كان

مدفوعاً من قبل الإمام، محتجاً على المأمون بأن الأمر ليس بيدك، فإن كانت الخلافة لك فلا معنى لمنحها غيرك، وإن كانت لغيرك فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك، وكان ذلك جديراً بإدانة المأمون وأسلافه في عدم مشروعية خلافتهم، ولنستمع إلى ما دار بين الإمام الرضا وبين المأمون في شأن الخلافة؛ لينبج الحق لندي عينين....

روى الصدوق بسنده، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن أبي الصلت الهروي قال: إن المأمون قال للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، قد عرفت علمك وفضلك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مني.

فقال الرضا عليه السلام: «بالعبودية لله عزّ وجلّ أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّ وجلّ».

فقال له المأمون: فإنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك.

فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك فلا يجوز لك أن تخلع لباساً ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.

فقال له المأمون: يا بن رسول الله، فلا بدّ لك من قبول هذا الأمر.

فقال: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً.

فما زال يجدّ به أياماً حتى يئس من قبوله.

فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تجب مبايعتي لك فكن وليّ عهدي، تكن لك

الخلافة بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أخرج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً بالسُّمِّ مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأُدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد، فبكي المأمون!

ثم قال له: يا بن رسول الله، ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ؟!

فقال الرضا عليه السلام: أما إني لو أشاء أن أقول لقلت من الذي يقتلني.

فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس: إنّك زاهد في الدنيا.

فقال الرضا عليه السلام: والله ما كذبت منذ خلقتني ربّي عزّ وجلّ، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإني لأعلم ما تريد.

فقال المأمون: وما أريد؟

قال: الأمان على الصدق.

قال: لك الأمان.

قال: تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قَبِلَ ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟

فغضب المأمون ثم قال: إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلاّ أجبرتكَ على ذلك، فإن فعلت، وإلاّ ضربتُ عنقك.

فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله أن ألقى بيدي في التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أيّ لا أولي أحدًا، ولا أعزل أحدًا، ولا أنقض رسمًا ولا سنّةً، وأكون في الأمر من بعيد مشيرًا.

فرضي بذلك، وجعله ولي عهده على كراهة منه عليه السلام بذلك (١).



لم يثبت النصّ مفخرةً للمأمون، ولم يجعل له مكرمة التنازل عن الخلافة إلى الإمام إلا لعبةً مأكرةً مكشوفة الأوراق، جليلة الغايات، ولم يستطع أولئك الذين يذهبون إلى تشييع المأمون أن يشبّوه وبين أيديهم نصّ الإدانة لتصرف المأمون فيما عزم عليه من قتل الرضا إن هو يرفض فكرة تحويل الخلافة، أو مسألة قبول ولاية العهد، وأي ولاءٍ هذا والمأمون ليس له خيار إلا خيار القتل فيما إذا تسبّب الإمام الرضا في إحباط مشروع المأمون؟! وأي تشييع هذا والإمام يتعرّض لكرهية القبول في أمرٍ لم يكن هو راضيه، فصار المأموم متبوعاً، وغدا الإمام تابعاً؟! فأيّ تشييع بعد هذا يبقى للمأمون؟!

نعم، كان المأمون قد استهواه التشييع كإنسان تحكّمت فيه رغبة الحق كمعرفة مجردة عن كلّ دواعي السلطان، وهواية البحث تأخذ الإنسان إلى مديات الرغبة الصادقة حينما يتخلّى عن نوازع السطوة، بل قد يتأصل الخير في كوامن الفطرة ليدفع الإنسان لأن يعود إلى إنسانيته كإنسانٍ مجردٍ عن كلّ النقائص العارضة على توجّهات الخير، المستوحاة من سلامة الفطرة إذا ما هي نجت من معائب النفس

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ٢: ١٥١.

الهابطة إلى حضيض الأشياء.

كان المأمون - كما أشرنا - يعاني من عقدة النقص التي تُلقِي بظلالها على شخصيته المنعزلة والطموحة كذلك، فالتقصُّ أشعر المأمون بدونية الانتساب لأُمّه الفارسية، وكانت مراجل عنواناً كبيراً لمعاناة المأمون التي خلقتها نظرة العباسيين إليه.

والذي نريد قوله: أنَّ المأمون شدَّ في "عباسيته" الخاصة به، فهو لم يحمل معه «عباسية» الرشيد ولم يتخلَّ منها كما في «عباسية» الناصر.... ولم يختر الوسطية في عباسيته بعد ذلك، فعباسيته لغز محيِّر خاض فيه الكثير، فمنهم من أقصاه عن عباسيته وأحاله شيعياً خالصاً، ومنهم من ذهب به المذاهب دون أن ينتهي بنتيجة معينة، وهكذا تضاربت آراء المحقِّقين، وتعارضت رؤى الباحثين، فلم يحطوا رحالهم إلى ما تطمئنُّ له نفوسهم، أو يتفقون على رأيٍ يقطعون به شأفة العصبية في الاستنتاج التاريخي، وأي استنتاج لأية قضية تاريخية لا يمكن الوقوف منها موقف المتحيز ما لم يتجرد المؤرخ عن نزعاته العصبية، أو نظراته القبلية، ليلقي عنان الحقيقة إلى حيث تسلكه من وهاد التحقيق إلى مكان قضايا أخفتها نزعات الرغبة في إثبات ما يستسيغه هو وما تهواه نفسه.



ومهما يكن من أمر فإنَّ تهمة تصفية الإمام الرضا لن تتخطى المأمون، أو تتعدّاه إلى ابني الفضل، أو تتجاوزه بتأمر الحاشية على قتله، فإنَّ سنّة تصفية الخصوم قد عرفت منذ زمان، وسعد بن عبادة أول من ذاق كأس حتوف المعارضة السياسية، وأوعزوا تصفيته إلى الجنِّ فقالوا: «قتلت الجنَّ سعداً»، ولم نسمع قبل وبعد مصرع

سعد أن تدخلت الجن في تصفية الخصوم، فإنَّ جنَّ السياسة أفتك وأشدَّ بطشاً.. ولم يُخفِ التاريخ ما ابتكره ابن أبي سفيان في دسِّ السمِّ بالعسل، فأودى بخصومه إلى حيث شاءت لهم «جنود الله من العسل»، وهو ما استساغه ابن أبي سفيان أن يطلق على مكائده فيوعزها إلى «جنود الله»...

وفي معرض تحليله لشخصية المأمون السياسية ذكر يوسف العشر في تاريخ عصر الخلافة العباسية ما نصّه: (....) وكان إذا فاجأته حادثة أخر حلّها حتى يستقيم له الرأي فيها. وهو على كلّ حالٍ يحلّ المسائل هادئاً دون أن يكون في الأمر إثارة أو استشارة، ليس فيه عنف ولا قسوة، يرغب في أن يكون حلاً هادئاً ناعماً لطيفاً^(١)، لعلّ الناس في عصره ما كانوا يشعرون بأهميّة الحلّ، ولا يقدّرون قيمته، قد يلجأ في هذا الحلّ إلى السمّ أو إلى قتل الناس، ولعلّه كان يفعل ذلك لصالح الدولة^(٢). ولعلّه كان يفضّل الحلول الهادئة هذه على إرسال الجيوش وقتال الناس، وكان بعد أن يوعز بالسمّ ويقتل من يقتل يتبرأ من هذا الفعل، ويعلن سخطه عليه، بل يحاول أن يخفي تدبيره وراء ترتيب جديد: يُنعم على أهل الشخص المقتول، ويضفي عطفه على اسم المسموم واسم ذويه...

ولعلّه كان من خطّته أيضاً أن يفندي نفسه بعليّ الرضا بن موسى، فإنّه ما مضى على وفاة الفضل بن سهل عدد من الأشهر حتى تناول عليّ الرضا بن موسى كمية

(١) من العجيب أن يصف الكاتب حلول الاغتيال بأنّها حلول ناعمة لطيفة، وإلا فمن القبيح أن تكون المعارضة أو الاختلاف في الرؤى سبباً للتصفيات الجسدية، بل وحتى الفكرية كذلك.
(٢) وهذا تعليل أعجب، إذ يستحسن الكاتب مثل هذه الحلول اللاأخلاقية ويسوّغها بأنّها لمصلحة الدولة، فأيّ دولة هذه تقوم على تصفيات الخصوم وصراع الإرادات، ثم هي بعد ذلك تسوّقها بأنّها لمصلحة عقلانية؟!

كبيرة من العنب وكان يحبّه فمات^(١). لعلنا لا نصدّق أنّ إنساناً يموت من أكل العنب إذا لم يكن في العنب ما يؤثر في الحياة كالسمّ مثلاً، أعلن المأمون حزنه على وفاة الرضا، ولم يغيّر سياسته في الأمر، بل استمرّ على لبس الخضرة^(٢).... وهكذا هي سيرة المأمون، فإنّه ليس بدعاً من ذوي السياسة وأهل الرئاسة حيث يختمون تحالفاتهم بالاغتيال لمنافسيهم الأقوياء.... فالمأمون فكر في بيعته علي الرضا، فأعظم أن يرجع عنها، وخاف إذا رجع أن يثور عليه أهل خراسان فيقتلوه، فعمد إلى سياسة الفتك، فدسّ إليه من أطعمه عنباً مسموماً فمات^(٣).

ولم يكن هذا الرأي قد اختصّ به جرجي زيدان حتى وافقه أحمد شلبي بقوله: إنّ ثورة بغداد قد أرغمت المأمون على التخلّص من الرضا...^(٤).

وليس المحدثون قد انفردوا في هذا الرأي، فإنّ أبي الفرج الإصفهاني ذكر في مقاتل الطالبين ما يؤكّد ذلك، فقال: (وكان المأمون عقد له على العهد من بعده -أي الرضا- ثم دسّ إليه بعد ذلك سمّاً فمات)^(٥).

ولم ينكر ابن الطقطقي في آدابه السلطانية ما ارتكبه المأمون من قتل الإمام الرضا عليه السلام، وألمح إلى أنّه كان في قتله للرضا استرضاء لبني العباس، وأنّ في موته

(١) هذا ما حاوله بعضهم أن يشوّهوا الحقائق ويدّعوا أنّ الإمام الرضا عليه السلام قد مات من تناول كمية كبيرة من العنب؛ ليحاولوا أن يبعدوا شبهة قتل المأمون له، ولم نعهد من قبل أنّ أحداً مات من كثرة أكل العنب، بل ثبت علمياً بأنّ العنب من المواد التي يتقبّلها الجسم دون أية مضاعفات صحية، كثر ذلك أو قل، إلّا أنّ المؤرّخين يشاركون الحاكم في جريمة قتل الخصوم بتبريرات يفتعلونها لا تظراً على بال حتى منقذ الجريمة نفسه.

(٢) تاريخ عصر الخلافة العباسية، ليوسف العشري: ٩٠ وما بعدها.

(٣) تاريخ التمدّن الإسلامي ٤: ٤٤.

(٤) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٣: ١٠٧.

(٥) مقاتل الطالبين: ٤٥٤.

ذهاباً لخوفهم وتوجّسهم ممّا ستؤول إليه ولاية عهد الرضا بزعمهم، فقال في معرض تأريخه للمأمون: (ثم دس إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام سماً في عنب فمات من ساعته، ثم كتب إلى بني العباس ببغداد يقول لهم: إنّ الذي أنكرتموه من أمر علي بن موسى قد زال، وإن الرجل مات، فأجابوه أغلظ جواب) (١).

وحسبنا جواب عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن عليّ عليّ رسالة بعث بها المأمون إليه، حيث توارى عنه، فأرسل إليه أماناً وأوعده بولاية العهد، فقال عبدالله في معرض جوابه إليه:

وصل كتابك وفهمته، تختلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال عليّ حيلة المغتال القاصد لسفك دمي، وعجبت من ذلك العهد وولايته لي بعدك، كأنك تظنّ أنّه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أيّ شيء ظننت أنّي أرغب من ذلك؟! أفي الملك الذي قد غرّتك نضرتة وحلاوته، فوالله لئن أقذف -وأنا حيّ- في نارٍ تتأجّج أحبّ إليّ من أن أليّ أمراً بين المسلمين، أو أشرب شربةً من غير حلّها مع عطش شديد قاتل.. أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا؟! (٢).

وفي خبرٍ آخر:

فبأيّ شيءٍ تغرّني؟ ما فعلته بأبي الحسن -صلوات الله عليه- بالعنب الذي أطعمته إياه فقتلته (٣).

وأحسب أنّ هذه الرسالة من شأنها قطع عادية اللجاج في أمر شهادة الرضا

(١) الآداب السلطانية.

(٢) مقاتل الطالبين: ٥٠٠.

(٣) المصدر السابق: ٤٩٩.

على يد المأمون. فبعد الله بن موسى هذا قريب عهدٍ على حادث الاغتيال، وهو مترصد لسلوك المأمون ومذهبه في تصفية الخصوم، ودم الرضا من ذحول الهاشمين المعارضين لسياسة العباسيين، الذين ما فتأوا يتخلّصون من آل عليٍّ بمثل هذه الغيَل وتلك الدسائس سبب في غَلَيان الهاشمين بالثورة، انتقاماً ممّا أقدم عليه المأمون في التماذي بقتل الإمام...

ولأبي فراس الحمدانيّ موقف من العباسيين يحاججهم بسوءاتهم، وأشهرها اغتيال الرضا وتصفيته بسم المأمون، ففي رائعته الميمية يذكر بها أمر الاغتيال بقوله:

ليس الرشيدُ كموسى في القياس ولا

مأمونُكم كالرضا إن أنصفَ الحكمُ

بأؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته

وأبصروا بعض يومٍ رُشدهم وعُمُوا

ولم تقف التهمة في حدود الاغتيال المروّع، بل عمد المأمون أن ينفي تهمة كهذه عن نفسه، فأرسل إلى ابن الرضا وخليفته «محمد بن عليّ»، فكان من أمره ما يتكفّله بحثنا هذا...

الوليد المبارك

كانت تلك الليلة مليئةً بالمفاجئات للسيدة حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، حين أبلغها الرضا بأنّ الخيزران أصابها الطلق، وعليها أن تحضرها لتليها أمرها... كانت حكيمة وجلّة من تلك الليلة، فهي تستشعر خوفاً مصحوباً

بأمل الحدث الجديد، وتتوجّس ممّا تخفيه هذه الليلة من تلك المفاجئات.. فحكمة قلقة الآن ممّا ستلقاه من بشارة المولود الذي طال انتظاره وأخيها وقد بلغ الخامسة والأربعين.. وتحديات الآخرين تتصاعد وتائرّها تُشكّك في إمامته، بدعوى أنّ الإمام لا بدّ أن يلي أمره إمام مثله، ولم يحن لأخيها الذي يواجه تشكيكات الخصوم أن يولد خليفته الموعود... فربما ستلد الخيزران غير ما ينتظره المنتظرون من شيعة الإمام، الذين بدورهم يواجهون تحديات الخصوم، ولجاجة المشكّكين، وشماتة الحاقدين، وخوض الخائضين في إمامة علي خليفة أبيه موسى.

وما الذي يفعله أولئك الواقعة على إمامة موسى غير مواجهة الرضا وشيعته بالاستدلال على صحة مزاعمهم، من كون الأمر قد وقف على موسى بن جعفر الذي لم يخلف إماماً بعده.

هذه الهواجس تتزاحم في ذهن حكيمة، التي ما فتأت تراقب الموقف بحذرٍ عندما أخذ خيزران الطلق وأطفئ المصباح... ارتاعت حكيمة من هول اللحظات الحاسمة، حتى واجه حكيمة شيء يتجلّى أمامهما، عليه شيء رقيق كهيئة الثوب، ونور يسطع من ذلك الوليد حتى أضاء البيت..... لم تتمالك حكيمة نفسها، حتى وثبت للوليد تأخذه برفق مصحوب برعدة اللحظات المهيبة، وهي تتناول ذلك الموعود إنّه «محمد»..

سبحانك اللهم وبحمدك، كلّ شيء عجيب في ولادة هذا الحبيب القادم من ثنايا الانتظار الأليم، الذي أذاق «أبا محمد» والده الإمام صنوف الاعتراض وغصص الشامتين الذين يأملون إحباط خلافة الله بكلّ ما لديهم من حولٍ وقوة، «وَيَأْتِي

اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^(١).. تَتَمَّتْ حِكْمَةٌ بِهَذِهِ الْهَوَاجِسِ وَتَلْهَجُ بِالْوَلِيدِ الْجَدِيدِ... إِنَّهُ «مُحَمَّدٌ» يَا أَبَا مُحَمَّدٍ...

وقد ناولته حكمة بعد أن فتح الرضا باب الغرفة ليضعه في مهد؛ ليقول لها: «يا حكمة الزمي مهد». لم تبارح حكمة مهد محمدٍ حتى رأت في يومه الثالث ما لم تره في غيره... تُحَدِّقُ حِكْمَةٌ فِي الْوَلِيدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يَرْمِقُ السَّمَاءَ بِبَصَرِهِ؛ لِيَنْظُرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَتَمَّتْ بِكَلِمَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ... نَعَمْ، تَسْمَعُ حِكْمَةٌ صَوْتَ الْوَلِيدِ فِي يَوْمِهِ الثَّالِثِ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...» لم تتمالك حكمة نفسها بعد أن أخذتها رعدة لا تحملها رجلاها المرتجفتان لتقوم بمشقة كبيرة فتُخْبِرُ الْإِمَامَ بِأَنَّهَا رَأَتْ عَجَبًا وَسَمِعَتْ عَجَبًا..

أَبَا مُحَمَّدٍ، وَلِيَدِكَ الْمَيْمُونُ مَا فَتَأَتْ أَبَارِحُهُ حَتَّى يَرِينِي مَا أَعْجَبَ مِنْهُ، إِنَّهُ يَتَشَهَّدُ، وَتَحْكِي لَهُ كُلَّ مَا تَرَاهُ بِنَبْرَاتٍ مَرْتَجِفَةٍ.. كَانَ الْإِمَامُ يَدْرِكُ أَنَّهَا مَفَاجِئَةٌ لِحِكْمَةٍ وَلِغَيْرِهَا فِي كُلِّ مَا تَرَاهُ مِنْ وَلَدِ الْمَيْمُونِ، فَيَقُولُ: «يَا حِكْمَةُ، مَا تَرُونَ مِنْ عَجَائِبِهِ أَكْثَرَ».



وَيَكْبُرُ «مُحَمَّدٌ» لَتَكْبَرِ فِيهِ عَنَايَةُ أَبِيهِ الَّذِي يَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ بِشَغْفٍ مَصْحُوبٍ بِعَنَايَةِ وَالِدِهِ الْإِمَامِ.. فَهُوَ الْآنَ «أَبُو جَعْفَرٍ»، يَخَاطِبُهُ الْإِمَامُ بِكُنْيَتِهِ تَعْظِيمًا لَهُ، وَتَوْقِيرًا لِمَقَامِهِ الْمُقَدَّسِ.. إِنَّهُ أَبُو جَعْفَرٍ... وَهُوَ الْمَوْلُودُ الْمُبَارَكُ يَا يَحْيَى..

وَلَمْ يَكْتُمْ يَحْيَى الصَّنْعَانِي تَسْأُولَاتِهِ عَنِ الْمَوْلُودِ الْجَدِيدِ، فَيُبَادِرُ الْإِمَامَ مَتَسَائِلًا: جَعَلْتَ فِدَاكَ، هُوَ الْمَوْلُودُ الْمُبَارَكُ؟ فَيَجِيبُهُ الْإِمَامُ: «نَعَمْ يَا يَحْيَى، هَذَا

المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركةً على شيعتنا منه»^(١). ولم يجد الإمام الرضا بدءاً من التنويه بمنزلة أبي جعفر عليه السلام، فهو لحمه من رسول الله ﷺ، وهو روحه، بل هو بعضه، فقلوله لابن نافع حين دخل عليه: «يا ابن نافع، سلّم وأذن له بالطاعة، فروحه روحى، وروحي روح رسول الله»^(٢).

كان ابن نافع يدور في خلده منزلة أبي جعفر كيف هي؟ ولكنه لم يتيقن أنّه خليفة أبيه، حتى ذكر الإمام أنّ ولده هو روح رسول الله ﷺ. ولا يعني قول الإمام إلّا إشارة إلى نسب ولده، وأنّه ينتمي إلى رسول الله، فليس عند ابن نافع شك في ذلك، ولم يخفَ على أحدٍ ولا على ابن نافع ذلك، بل أراد الإمام أن ينوّه عن وراثة أبي جعفر له، ومن ثم وراثته لرسول الله، فهو روحه يا ابن نافع... وليس بعد ذلك تفصيل...

كان أبو جعفر يتلقّى الرسائل من أبيه «المبعد» إلى خراسان.. وكان الوالد يراقب عن كثب أحوال أبي جعفر، فكانت بينهما مراسلات تفصح عن جلالة «محمد» بالرغم من صغر سنّه، وكان الرضا يُتحيّف ولده بأنواع التبجيل، وفوق ذاك فقد كان يفديه.. فأيّ منزلة هي إذن؟ وأيّ كرامةٍ تُحيط بالمذخور لوراثة الإمامة؟! كان الجواد عليه السلام يقرأ في ثنايا رسائل والده عطفاً مشوباً بشوق البعد وعناء الفراق... وكان يتطلّع برسائل والده فيقرأ فيها عنايةً تنطوي فيها حرارة الشوق مع قداسة التعظيم، وهو أمر لا يقف عند حدود المراسلات، أو يندرج في شؤون المخاطبات، أو يرسم في ملاكات التشريف بقدر ما هو تنويه على أمرٍ خطير،

(١) فروع الكافي: ٣٦١/٦، باب الموز.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ٣٨٨/٤.

ومكانة جسيمة لا تكشفها إلا مخاطبات الإمام لأبي جعفر حين يكتب له: بسم الله الرحمن الرحيم، أبقاك الله طويلاً، وأعاذ من عدوك يا ولد، فداك أبوك.. وفي نفس الرسالة يخاطبه: وقد أوسع الله عليك كثيراً، يا بني فداك أبوك.. وفي قوله: «أبو جعفر وصيّي وخليفتي في أهلي من بعدى...» ينكشف سرّ مكانة أبي جعفر، وخطر منزلته عند أبيه... فهو وصيّ وخليفته.



كان الرضا ملازماً لمهد «محمد» عدّة ليالٍ.. لا يفارقه، وهو أمر أثار استغراب أحدهم، وسأل الرضا عليه السلام عن سبب ذلك؟ وهل ملازمته لمهد الوليد تعويذاً له من عين الحاسدين؟..

أجل، لم يدرك المتسائل سرّ هذه الملازمة، وظنّه أنّها ملازمة الوالد لوليده الوحيد الذي يخشى عليه كيد الحاسدين.... ولم يتبيّن لهذا السائل أنّه أمر عظيم يكتنف هذه الملازمة ليالي عدة..

إنّه أمر أعظم من أن يدركه هذا وغيره، فيكتفي الإمام عليه السلام بأنّ ذلك من أسرار الوراثة وخصائص الإمامة... إنّه العلم يا هذا،.. وأيّ علم هو يتلقّاه أبو جعفر في مهده؟ ولم يزد الإمام على أكثر من قوله: «ويحك! ليس هذا عوذة، إنّما أغرّه بالعلم غرّاً»^(١).

وهكذا يكبر أبو جعفر، ويكبر معه علمه ورعاية الوالد الحبيب... وأيّ لحظات هي، وأبو جعفر يراقب والده وقد ودّع البيت وداع من لا يرجع بعد سفره هذا؟...

(١) الإمام محمد الجواد سيرة وتاريخ، عدنان الحسيني: ١٦.

ولم يرتضِ أبو جعفر أن تمرّ هذه اللحظات العصبية إلا ليعبر عن ألمه واستيائه لما سيفعل بوالده المعظم.. وهل يخفى على أبي جعفر ما تنطوي عليه الأيام الزاخرة بالمفاجئات؟ وهل فات أبو جعفر الصبيّ الرباعيّ أو الخماسيّ أن لا يدرك ما هو فيه أبوه؟ وهل خفي على الرضا ما تُكِنّه نفس أبي جعفر وتنطوي عليه من معرفة المستقبل بتفاصيله؟!

ولم يستغرب الرضا ما بدا على أبي جعفر ولده من قلق وهمّ وحزن عبّر عنه بلزومه الحجر، ولم يبارحه حتى جاء والده فاستجاب إليه، وبقي موقّف الخادم متعجباً ممّا يراه من هذا الصبي الحزين على فراق والده!

وأيّ صبيّ في الرابعة يدرك ما تجري الأحداث والوقائع ممّا يجعل موقّفاً الخادم متحيراً لإدراك أبي جعفر خطورة الأمر التي ستؤول إلى تصفية الإمام؟ ولم يجرّ الخادم موقّق فعل شيء وهو يرى الصبي «محمداً» لم يبرح الحجر...

فهذا أمية بن علي القيسي^(١) الشامي يحكي لنا مشاهداته عن سلوك الصبيّ الذي يرافق والده عند طوافه، قال:

كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة في السنة التي حجّ فيها، ثم صار إلى خراسان ومعه أبو جعفر، وأبو الحسن عليه السلام يودّع البيت، فلما قضى طوافه عدل إلى المقام فصلّى عنده، فصار أبو جعفر إلى الحجر فجلس فيه فأطال، فقال له موقّق: قم جعلت فداك، فقال: «ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلا أن يشاء الله»، واستبان في وجهه الغمّ، فأتى موقّق أبا الحسن عليه السلام فقال له: جعلت فداك، قد جلس أبو جعفر في

(١) معجم رجال الحديث: ٤/١٤٤، ت ١٥٤٨، وفيه في نسخة: (القَبَسِي).

الحجر، وهو يأبى أن يقوم، فقام أبو الحسن عليه السلام فأتى أبا جعفر فقال:
 «قم يا حبيبي» فقال عليه السلام: «ما أريد أن أبرح من مكاني هذا»، قال عليه السلام:
 «بلى يا حبيبي» ثم قال عليه السلام: «كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً
 لا ترجع إليه؟»، فقال له عليه السلام: «قم يا حبيبي» فقام معه ^(١).

ولم يُدرك الباقر نعي «محمد» لوالده الإمام.. فلعلّ في نفوس هؤلاء تكمن
 حيرة الموقف، وهيبة التأين، وقداصة النعي المستوحى من الغيب...
 إنه الغيب يا سادة... وأنتم تستشعرون أمراً لم تُدركوه بعد.. فما يجري بين
 الإمام وبين ولده نفثات علمٍ مخزونٍ في صدر الصبيّ المفجوع بفراق والده...
 وحشاشته الحرّى تتأجج حزناً لما انتهى إليه من علمٍ بفراق والده الإمام... ولعلّكم
 ظننتم إنه لهُوَ الصبيّ الذي لم يُبارح المكان إلّا بأمر والده.. وأنتم لم تدركوا أنه أبو
 جعفر الإمام القادم، والتي ستنتهي إليه مقاليد خلافة الله...

أبو جعفر الإمام.. الإمامة المبكرة..

ولم يلبث الإمام الرضا في خراسان حتى تمت المؤامرة... إنها مؤامرات اللب
 السياسية التي زاولها المأمون.. ولم يكن من أمر غير إنهاء المرحلة الحرجة من
 الحياة السياسية للعباسيين.. وتنافس الأطراف المتنازعة تؤجج لظى التسابق
 السياسي الذي ينتهي بشهادة الرضا مسموماً سنة (٢٠٣) للهجرة في صفر من ذلك
 العام.

ويصل خبر نعي الإمام الرضا عليه السلام إلى المدينة، وأبو جعفر يومها في السابعة من

العمر... كان الموقف مضطرباً.. فالتجربة الجديدة في تولي الإمامة المبكرة أمرٌ لم يألفه الناس، وحتى شيعة الإمام فإنهم لم يألفوا إمامة الصبي وهو في السابعة، فأخذوا يتجادبون الحديث عن صلاحية الإمامة لهذه السن المبكرة.. إنها محنة التسليم لأمر الله تعالى حين يأتي وليه الحكم وهو صبي... وإذا غابت مسوغات لإمامة المبكرة فإن القرآن لم يغب عن أذهان الناس حين يذكرهم بالصبيين اللذين آتاها الله الحكم والكتاب ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١) وكان يحيى معجزة احتج بها الله على عباده...

ولم تكن مرحلة يحيى وحدها معجزة، فإن في عيسى تتكرر معجزة النبوة المبكرة، ولا تزال التجربة تختبر الناس في تسليمهم لأمره تعالى... كانت نبوة عيسى امتحاناً عسيراً لأولئك الذين يتساءلون عن أمر الصبي عيسى كيف يكون نبياً؟ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّاراً شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾^(٢).

وذلك محمد بن علي الذي فيه يمترون، بل فيه يضطربون.. وفيه يخوضون.. ولم يكن الرضا قد غاب عنه ما توجس منه أصحابه في صغر سنّ ولده الخليفة والإمام القادم... هي تجربتهم الأولى في الإمامة المبكرة..

(١) مريم: ١٢.

(٢) مريم: ٢٩ - ٣٤.

كان أصحاب الرضا يتساءلون عن أمر ذلك.. وكان الخيرانبي يروي عن أبيه هذا الموقف الذي يبين تصورات شيعة الإمام ومواليه، قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان، فقال له قائل: يا سيدي، إن كان كون فإلى من؟ قال: «إلى أبي جعفر ابني» فكان القائل استصغرسنّ أبي جعفر عليه السلام، فقال: أبو الحسن عليه السلام: «إنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً نبياً، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السنّ الذي فيه أبو جعفر عليه السلام»^(١).

وفي رواية صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا عليه السلام: قد كنّا نسألك قبل أن يهب لك الله أبا جعفر؟ فكنّت تقول: «يهب الله لي غلاماً»، فقد وهبه الله لك، وقرّ عيوننا به، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه، فقلت له: جعلت فداك، وهذا ابن ثلاث سنين؟ قال: «وما يضّر من ذلك! قد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين»^(٢).

وروى الكشي في رجاله بإسناده، عن أبي الحسين بن موسى بن جعفر قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام بالمدينة وعنده عليّ بن جعفر، وأعرابي من أهل المدينة جالس، فقال لي الأعرابي: من هذا الفتى؟ وأشار بيده إلى أبي جعفر عليه السلام، قلت: هذا وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا سبحان الله! رسول الله قد مات منذ مئتي سنة وكذا وكذا سنة، وهذا حدث كيف يكون؟!^(٣)

هكذا يضطرب الناس في إمامة أبي جعفر السُّباعي، فهي تجربتهم الجديدة في المعرفة، والتسليم لإمامة مبكرة شاء الله أن يجعلها وراثته آبائه المعصومين... وهذا

(١) أصول الكافي: ١/٣٢٢، ح ١٣.

(٢) الفصول المهمة لابن الصبّاح: ٢٦١.

(٣) رجال الكشي: نقله عنه معجم رجال الخوئي: ٢/٣١٦، ضمن ٧٩٧٩.

علي بن جعفر عمّ أبيه يمر بتجربة الإمامة المبكرة ليتصاغر لأمر الله ويدعن لإرادته في أوليائه المكرمين....

كان علي بن جعفر قد ناهز الثمانين عاماً، وهو عمّ أبيه -أي عمّ الرضا- قد عرف منزلة أبي جعفر، وأدرك أنّ الإمامة ليست بالسِّنّ والشيخوخة وغيرها... إنّما هو أمر إلهي... سرّ إلهي.. مكنون من مكنونات الغيب، لا يحلّ غوامضه إلّا التسليم لأمره تعالى.. وهكذا فعل علي بن جعفر... فقد أصاب هذا الشيخ في فعله لأبي جعفر وفي تسليمه لأمر الله... كان علي بن جعفر نموذجاً رائعاً من نماذج الطاعة والتسليم لأمر لا يعرف منه إلّا أنّه «أمر الله»...

روى محمد بن الحسن بن عمّار قال: كنت عند علي بن جعفر الصادق جالساً بالمدينة، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه -يعني أبا الحسن موسى الكاظم عليه السلام- إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام في مسجد رسول الله ﷺ، فوثب علي بن جعفر عليه السلام بلا حذاء ولا رداء، فقبّل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «يا عمّ، اجلس رحمك الله»، فقال: يا سيدي، كيف أجلس وأنت قائم؟.

فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبّخونه ويقولون: أنت عمّ أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال: اسكتوا، إذا كان الله عزّ وجلّ -وقبض على لحيته- لم يؤهّل هذه الشبيبة، وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله ممّا تقولون، بل أنا له عبد^(١).

هكذا كان علي بن جعفر عمّ أبيه... الشيخ المحدث.. الفقيه... شيخ الهاشميين سنّاً.. لازم

جعفر الإمام والده.. وموسى الإمام أخاه.. وعليّ الإمام ابن أخيه... روى عنهم وسمع أحاديثهم.. وتفقه بفقهم حتى صار عليّ الفقيه والمحدث ونيقب العلويين في وقته.. هو اليوم يخضع لإمامة ابن أخيه الصبيّ السُّباعيّ... ولا يرى شيخ الهاشميين ونيقهم ضيراً أن يتصاغر للإمام أبي جعفر، وأن يعظم مقامه، ويراعي حقّه... فقد تربّى في كنف ثلاثة أئمّة... فعليه اليوم أن يظهر ما تأدّب عليه من التسليم والطاعة والاتباع لإمام وقته.. خليفة أبيه.. بل خليفة رسول الله ﷺ.. وكان الناس يوبّخون الشيخ على توقيره لهذا الصبيّ السُّباعيّ.. إنهم لا يدركون إلاّ أنّه الصبي «محمد».. وعلي لا يدرك عن محمدٍ إلاّ أنّه الإمام... الحجة.. خليفة أبيه... بل خليفة رسول الله ﷺ.

محمد بن عليّ .. وصي آباءه

كانت إمامة أبي جعفر تعني برعاية آباءه.. وعناية أسلافه المعصومين.. إنّها وصاية تتعدّى تقليدية الأعراف الأسرية في الحفيد القادم... وكان «محمد» أُمَلّ من سبقه ليقوم بالأمر.. فلعلّ «محمداً» الصبيّ سيعاني صخب المشكّكين وضجيج المعترضين في الإمامة المبكّرة.. التجربة الأولى... والعملية الجديدة في الإعجاز الإلهي تتعدّى حسابات أولئك الذين تتزعزع في نفوسهم إرادة التسليم للغيب، والإذعان للمعجزة...

كانت بوادر الإمامة القادمة من ثنايا الغيب تحمل أسرار التحديّ للوارثة الملوكية في بني العباس... وفي بني أميّة من قبل... فالوراثتان الأموية والعباسية ترتسم فيهما ملامح كسروية في الطاعة وقيصرية في التسليم.. فكسرى يرث

كسرى، وقصر محلّ قصر، والجميع يغضّ الطرف عن صلاحية المورث وأهلية الوريث.. إنها تقليدية الملك، وأعراف السلطنة في أولئك القياصرة والأكاسرة.. وفي هؤلاء الأمويين والعباسيين.. فالجميع تجمعهم الوراثة الدنيوية، وليست هي وراثة إلهية كما يزعمون.. إذن إمامة «محمد» ستكون تحدّياً لبني العباس، وإبطالاً لأكذوبتهم في وراثة رسول الله...

والأمر مختلف الآن.. «فمحمد» الإمام يحظى برعاية خاصة.. و«محمد» الآن يحفل بتراث نبوي ومعصومي يفوق تصورات أولئك المشاغبين، والمعطّلين لإرادة الله في عبادته.. أكذوبة المدّعين تفتضح اليوم، فأبو جعفر الإمام.. السُّباعيّ من العمر يتحدّى عراقل السياسة وطيش المغامرين في السلطة، وأبو جعفر ينتظر تحدّيات أولئك العابثين الذين يحاولون عبثاً أن يُحيطوا مشروع أبي جعفر في الإمامة المبكرة.. مشروع آبائه.. مشروع النبي.. بل المشروع الإلهي بعد هذا وذاك..

بشارة النبي ﷺ

كان النبي يتطلّع ما وراء الغيب.. يترنّم بكلمات لم يدركها أولئك النفر الذين يحيطون به ﷺ، إلا أنّهم يستمعون إلى مناجاة تسمو في روعها تراتيل النبوة في سفر الغيب المكنون... إنّهم لا يدركون شيئاً إلا أنّها متعة الاستماع لكلمات يضوع شذاها فمه الطاهر... فالنبي الآن يستذكر حفيده السابع.. يفدّيه بأبيه، ويذكر أنّ أمّه هي خيرة الإمام المنتجة، يستمعون إليه وهو يقول: «بأبي ابن خيرة الإمام، ابن

النوبية الطيبة الفم، المنتجة الرحم»^(١).

ولم يُخفِ النبي ﷺ عن جابر بن عبد الله الأنصاري أسماء أوصيائه وخلفائه من بعده.. فجابر يحبوه النبي بكرامة البشارة، إنه يحملهم أمانة التبليغ، وجابر قمين أن يؤدّي الأمانة كما أئتمنه النبي ﷺ، كيف لا وجابر يتشوق إلى حديث الغيب؟ وأي رجل لا يفخر بهذه المهمة؟! فحقيق بجابر أن يفخر وهو يتحدث في مجلسه الذي يضمّ شيوخ الرواية، كجابر بن يزيد الجعفي وأمثاله، فقد سمع من جابر الأنصاري يقول: قال لي رسول الله ﷺ:

«يا جابر، إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر، ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه منّي السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم القائم اسمه اسمي، وكنيته كنيته محمد بن الحسن بن علي...»^(٢).

ولم يقتصر الأمر على ذكر وصايته ﷺ لحفيده الإمام القادم محمد بل كانت خلقته النورية كآبائه الطاهرين موضع اهتمامه، وهي دلالة عظمتة، وعلو قدره، وكمال منزلته، فهو كآبائه شرفاً، ومرتبة، ومقاماً..

كان ﷺ ينقل مشاهداته عند عروجه إلى الملكوت الأعلى، يروي نِعَمَ الله تعالى عليه وعلى ذريته، خلفائه من بعده، وأوصيائه على أمتة.. فلعل حديثه ذاع

(١) أصول الكافي: ٣٢٣/١، ضمن ح ١٤.

(٢) كشف الغمّة للأربلي: ١٠٠٦/٢.

واستطار في آفاق الدنيا، كَسَرِيَانِه في آفاق النفس المتلهفة لمعرفة المجهول، كان يحدث أصحابه عليه السلام فيقول:

«ليلة أُسْرِيَّ بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ وعلا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾»^(١)، قلت: والمؤمنون، قال: صدقت يا محمد، من خلّفت في أُمّتكَ؟ قلت: خيرها، قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم ياربّ قال: يا محمد، إنّي أطّلت إلى الأرض اطلاعة فاخترتُك منها، فشقت لك اسماً من أسمائي فلا أذكر في موضع إلّا ذُكرتَ معي، فأنا المحمود وأنت محمد. ثم أطّلت الثانية فاخترت علياً وشقت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو عليّ. يا محمد، إنّي خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نورٍ من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن جحدها كان عندي من الكافرين، يا محمد، لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع، أو يصير كالشنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقرّ بولايتكم، يا محمد، أتحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم ياربّ.

فقال لي: التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا أنا بعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن عليّ، وعلي بن محمد، والحسن بن عليّ، والمهدي، في ضحضاح من نورٍ قياماً يصلّون

وهو في وسطهم - يعني المهدي - كأنه كوكب دري.

قال: يا محمد، هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك، وعزّتي

وجلالِي إِنَّهُ الْحِجَّةُ الْوَاجِبَةُ لِأَوْلِيَائِي، والمنتقم من أعدائي»^(١).

هكذا كان محمد النبي يبشّر بمحمدٍ الوصيِّ.. كان الجدّ يقرأ الحفيد على أنه

ملحمة الكرامة النبوية، وعطاء الرّبّ الذي لا ينضب.

وموسى يبشّر أيضاً

كان موسى بن جعفر قد ورث غيب آبائه في قراءة المحنة.. إنّها محنة القدّيس،

وقد غيبت طوامير السياسة في سجونها الحالكة، ومهمة موسى الآن في صدّ عادية

أولئك المنكرين لإمامة ولده «علي» وحفيده «محمد» والآخرين من عترته

المعصومين..

أجل؛ (المنكرين القادمين) قريباً على ظهر الأهواء، والمُمتطين صهوة الطمع

وحبّ المال الواقعة... خطر يهدّد جهود النبي الذي بشّر باثني عشر نقيباً من أئمة

الهدى، هم اليوم تواجههم دعوة الواقعة الذين وقفوا على إمامة موسى دون ولده

الآخرين...

وموسى يقرأ غيب الأحداث، فهذا أبو حمزة البطائني وأمثاله يطمعون في حفنة

مال مودّعة لديهم، فيخافون محاسبة القادم بعد موسى ليطالبهم بالمال، فأنكروا

إمامته وألّبوا عليه، ولعل «عليّاً عليه السلام» سيهب هذه الأموال المودّعة إذا ما علم أنّ

أصحابها بحاجة إليها، لكنّه الطمع وحبّ المال أهوى بهم إلى مزلق النكران

ومهاوي الجحود.

ولم يألُ موسى بن جعفر جهداً في بذل جهود الوصية لولده وولد ولده، فهذا «علي بن موسى» يحظى بالعشرات من وصايا أبيه يحتج بها «علي» على منكري إمامته، وهذا «محمد» ولده مثله؛ فزحف دعوة الواقعة ومثلهم من أهل الأهواء ستصل إليه، ولا يهَمُّ «محمدًا» الحفيد؛ بعد ما سمع الناس من فم موسى الإمام ووعوه وسلّم له بعضهم وجحده آخرون.. ولا يضُرُّ «محمد» جحد الجاحدين من شراذمة الواقعة وقطّاع الطرق من أهل الأهواء المنحرفة.

بعد ما يقرأ أصحابه وصية جدّه لأحدهم كان محمد بن سنان يستمع لوصية الإمام موسى بن جعفر في ولده وحفيده القادمين في زحمة الأهواء الهائجة، قال محمد بن سنان: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة، وعليّ ابنه جالس بين يديه، فنظر إليّ وقال: يا محمد، ستكون في هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك، قال: قلت وما يكون جعلني الله فداك فقد أفلقتني؟

قال: أصير إلى هذا الطاغية، أما إنّه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده. قال: قلت: وما يكون جعلني الله فداك؟ قال: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(١)، قال: قلت: وما ذلك جعلني الله فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقّه وجحده إمامته من بعدي كان كمن ظلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجحده حقّه بعد رسول الله ﷺ.

قال: قلت: والله لئن مدّ الله لي في العمر لأسلّم له حقّه، ولأقرنّ بإمامته وإمامة من يكون بعده، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال: ابنه محمد، قال: قلت: له الرضا

والتسليم^(١).

الإمام الرضا في مواجهة العاصفة

وتنبعث زوبعة التشكيك في إمكانية ولادة الإمام الرضا عليه السلام لولده «محمد»، فالرضا عليه السلام يتجاوز الأربعين من عمره ولم ينجب ولداً يرثه بعد، وكلما تقدم العمر بالإمام تقدّمت أمامه تحدّيات الخصوم، ومواجهات المشكّكين، أولئك الواقفة أو الذين تأخذهم مدعيات الواقفة لإثبات دعاواهم في الوقوف على موسى بن جعفر، وتتصاعد وتيرة الاعتراض في أنّ علياً لم يلد ولداً، فكيف يكون إماماً يدعو إلى ولده الأربعة من سلالته ليكونوا أئمة؟!

كان الإمام الرضا يبشّر لولده القادم محمد، وبكلّ اطمئنان كان يتلقّى اعتراض هؤلاء وتشكيك أولئك، إنّها مرحلة الاختبار للثبات على إمامته، فتأخير ولادة «محمد» كانت لها مصالحها المسوّغة، فالمحنة هي محنة الاختبار، وعلى أولئك المدّعين أن يثبتوا أمام هذه العاصفة التي تهبّ من أطراف عدة، ولا داعي للحيرة في من يرث الإمام، إذا كان الأمر يخضع للتسليم والرضا للرضا من آل محمد فما معنى الحيرة والتردد إذن؟ وإذا كانت مرحلة الحسم تعني مرحلة التصفية للإذعان والتسليم فإنّ موجبات تأخير ولادة «محمد» الموعودة معقولة إذن، بل ضرورة جداً لقطع دابر النفاق والتردد، وستكون مسألة الثبات على إمامة الرضا هي ثبات الخاصة على ولايته بعد ذلك، بل موت الرضا بعد ولادة محمد بخمسين أو ستّ سنواتٍ مرحلة للامتحان كذلك، فالتسليم للإمامة المبكّرة جولة أخرى من ذلك

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢٤ - ٢٥، والبحار: ١٩/٥٠، ح ٤.

الاختبار العسير.

كان (ابن قياما) تحدّياً جدّياً للرضا، فهو يشكّك في إمامته عن طريق التساؤل عن الوريث الذي لم يولد بعد، فكيف يكون إماماً ولم يولد له ولد؟ هذا منطق التحدّي، وتلك هي تداعيات العاصفة من التشكيك.

كتب (ابن قياما) إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يقول فيه:

كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟

فأجابه أبو الحسن عليه السلام: «وما علمك أن لا يكون لي ولد؟ والله لا تنقضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ولداً يُفرّق بين الحقّ والباطل»^(١).

قال أحمد بن محمد بن أبي نصر: قال ابن النجاشي: من الإمام بعد صاحبكم؟ فدخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فأخبرته، فقال: «الإمام بعدي ابني»، ثم قال: هل يجزأ أحد أن يقول: ابني وليس له ولد؟^(٢)

ولم يكتفِ ابن قياما بكتاب التحدّي المبعوث للرضا في نكران إمامته؛ لعدم ولادة من يرثه حتى يسأله بعد ما لقيه: هكذا تخلو الأرض من أن يكون فيها إمام؟ فقال الرضا: «لا».

قال: فيكون فيها اثنان؟

قال: «لا، إلاّ وأحدهما صامت لا يتكلّم».

قال: قد علمت أنّك لست بإمام.

قال: «ومن أين علمت؟»

(١) كشف الغمّة للأربلي: ٢/٢٦٥.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٨.

قال: إنه ليس لك ولد، وإنما هي في العقب.

فقال له: «فوالله لا تمضي الأيام والليالي حتى يولد لي ذكر من صلبى يقوم مثل مقامي، يحقّ الحقّ ويمحقّ الباطل»^(١).

ويسأله آخر: أ تكون الإمامة في عمّ أو خال؟
فقال الرضا: «لا».

فقال: في أخ؟
قال: «لا».

قال (أي السائل): ففي من؟

قال: «في ولدي» وهو يومئذٍ لا ولد له^(٢).

وهكذا يواجه الرضا تحدّيات أولئك المشكّكين، وتساؤلات المتحيّرين، وهو يجيبهم بكل اطمئنان: أنّه سيولد لي ولد يكون حجة الله على خلقه، وقد ولد محمد، وصدقت نبوءة الرضا وآبائه من قبل.

الأحداث الحاسمة

وفي صفر سنة (٢٠٣هـ) كان الأجل موعده مع الإمام الرضا عليه السلام بعد تصفية المأمون له، فرحل راضياً مرضياً، وكان «محمد» الثماني تنتظره وراثة أبيه في الإمامة، فهو وحيد الذي تشخص إليه الأبصار، وترمقه أنظار العامة والخاصة، فمحمد اليوم يتصدّى لمهمة السماء.. وحداثة سنّه تثير تساؤلات هؤلاء وتحفظات

(١) البحار: ٣٤/٥٠، ح ١٩. عن رجال الكشي: ص ١٠٤٤/٥٩٦.

(٢) البحار: ٣٥/٥٠، ح ٢١.

أولئك... إنَّها محنة التسليم كذلك لإمامة مبكِّرة تستشعر معها محنة يحيى الذي شهد له القرآن: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١)، ونوّه عن عيسى وهو في مهده: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٢). فلا غرابة إذن لدى أولئك النفر الذين لم تغب عنهم إرادة الله في عباده الذين اصطفى وهدى منهم ليكونوا حججه البالغة..

في خضمّ هذه التجاذبات الفكرية بين أتباع الإمام الجواد وبين مناوئيه يعلن المأمون دعوته للجواد بالمجيء إلى بغداد، ولم تكن تلك الدعوة إلاّ ضريبة الظرف الخانق الذي يعيشه المأمون، فهو الآن محاصر بتهمة تصفية الإمام الرضا، وآل علي عليه السلام ومن تبعهم لا يتردّدون في تهمة الخيانة التي ارتكبتها المأمون في شأن الرضا، وهم اليوم يعيدون قواهم للاقتصاص من المأمون.

فبالأمس القريب استجابت ثوراتهم للهدوء بعد غليان لم يمهل العباسيين إلاّ قتلاً وتنكيلاً، وكانت هدنتهم استجابة لظروف الإمام الرضا الذي يتحمل مسؤولية هذه الثورات على المستوى الرسمي والإمام تحرجه تحركات العلويين، فالمأمون لا يلقي باللائمة إلاّ على الرضا حينذاك، فكان العلويون أكثر تعقلاً من أن يخرجوا الإمام في ظرف كهذا، أمّا اليوم فلا معنى للسكوت عن دم مهذور متهم فيه المأمون ونظامه، ولا يجد آل علي عليه السلام غير النهوض بوجه عادية الغدر والخيانة التي يمثلها نظام المأمون، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنّ العباسيين يشعرون بالانقباض ممّا تصرف به المأمون، وقد خشي هؤلاء من ضياع ملكهم بعدما أعلن المأمون أنّ للرضا ولاية العهد،

(١) مريم: ١٢.

(٢) مريم: ٣٠.

فكانت هواجس العباسيين تتّجه نحو ملك أهدره المأمون بعمله هذا، فهم لا يرتضون بغير الاقتصاص منه ليرجعوا ملكاً مضاعاً وسلطنة مقطّعة الأوصال.

هكذا كانت الأوضاع بُعيدَ شهادة الإمام الرضا عليه السلام ولم يكن مندوحة للمأمون غير أن يعيد الكرّة ثانيةً مع الجواد، فالجواد الثماني من العمر لعلّه يفشل في خطّة أبيه ويساعد المأمون في إنجاح خطته، والمأمون يريد أن يعيد تجربته ليعوّض ما خسره بالأمس. هذه هي هواجس المأمون الخائبة إذن..

ولم يكن للجواد مندوحة سوى القبول بعرض المأمون تحت طائلة ضغوط هي نفسها التي واجهها والده من قبل.. ويحطّ الجواد رحله في بغداد الجولة الخطيرة من مهامّ إمامته، فهو الآن يواجه عدوّاً قد أحسن اللعبة في التعامل مع الظروف الهائجة والتي تحيط به وبمسيره المجهول في ظلّ ما ينتظره من معارضتين قويتين: إحداهما تقليدية محكمة تلك هي معارضة العلويين، والأخرى مستجدةً متزلزلة تلك هي معارضة العباسيين. وبين المعارضتين بون شاسع من الرفض والقبول، أو من التمرّد والسكوت، وبين المعارضتين رؤية الاختلاف، أو فقل: الخلاف كما هو بين أطروحتيهما المتناقضتين.

ولم تقنع المعارضتين بالذي يفعله المأمون من تقريب الجواد إليه، أو الأصحّ في الواقع: تقرب المأمون من الجواد ليقضي أمراً لا يخفى على أحدٍ منهم.

ولم يقنع آل عليّ عليهم السلام بسياسة المأمون الجديدة، فهي لا تتعدّى إسكات الخصوم والإظهار بمظهر الحريص المتباكي على حقوق أهل البيت، ولم تكن هذه الخديعة تستغفل العلويين حينذاك، فحسبهم ما كان من مصير الرضا على يده، وما ينتظر الجواد مصير أبيه.

فلم تهدأ للعلويين ثورة، ولا تحطّ لهم أوزار فورة، فتوراتهم ملأت أركان مملكة المأمون، فكان لصدى ثورة أبي السرايا وآثارها ما جعلت المأمون يعيش ذكرياتها المرعبة، وهواجسها المهددة له، ولسطوته على أركان دولته، حتّى كأنّ ثورته لازالت تشحذ همم الثوريين من آل علي عليه السلام.

فكانت حركة عبدالله بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(١)، وثورة عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في اليمن، فبايعه خلق كثير^(٢).

وكان للقميين هياج وتمرّد على حكومة المأمون في سنة (٢١٠)، انتهت بثورة مسلّحة تصدّى لها المأمون بقيادة عليّ بن هشام وجيش آخر بقيادة عفيف بن عنبسة، ويبدو أنّها صدّت لتدمر القميين المعروفين بولائهم لآل عليّ عليه السلام؛ جرّاء سياسة المأمون الطائشة مع الإمام الرضا، وإن كان المؤرّخون يجعلونها ثورة اقتصادية يدفعها كثرة الخراج الذي فرضه عليهم المأمون آنذاك^(٣).

ظروف حرجة إذن تحيط بالمأمون، وتكاد تطيح به لولا إجراءاته المشدّدة فضلاً عن سياساته التي كان يُسكّت بها أولئك الثائرين، أو يهادنهم بعدما أقدم إليه محمد بن الرضا والمأمون متهم بتصفية والده، والمأمون كذلك يتمتّع بحصانة ولو ظاهريّة من تفاقم المدّ الثوري لشيعة علي، فهو الآن عرف كيف يتعامل مع تلك الثورات المؤجّلة، أو يهادن أولئك العلويين المسلّحين الذين ما فتئوا يتربصون للمأمون ولأمثالهم من العباسيين.

(١) مقاتل الطالبين: ٤٥٣.

(٢) المجدي في أنساب الطالبين: ٢٩٥.

(٣) راجع تاريخ الطبري: ١٨٤/٧.

ولم يكتفِ المأمون بتقريب «محمد» إلى دار الخلافة، بل عمد إلى تزويجه من ابنته أم الفضل، كما ذكر الطبري ذلك، وأرخَّ أنه في سنة (٢٠٢) زوّج المأمون عليّ ابن موسى ابنته أم حبيب، وزوج محمد بن علي بن موسى ابنته أم الفضل^(١). ولا ترجيح فيما أرّخه الطبري عندنا، إذ كان أبو جعفر في المدينة وكان له من العمر أقلّ من ثمان سنين، ولم يأتِ إلى خراسان بعد. نعم، فلعلّه عزم في هذه السنة تزويج أبي جعفر من ابنته أم الفضل، إذ لم يكن للعباسيين رضاً في مثل هذا التزويج، بل أثار ذلك حفيظتهم وأزعجهم أيّما إزعاج، فإنّ ذلك يعني مصاهرة سياسية غير محمودة لا يرتضيها بنو العباس، فذلك ضياع لملكهم وتفريط في أمرهم، هكذا تصوره.

وللمأمون خلاف ما يرويه في الظاهر إذا أراد أن يتقرب لآل علي عليه السلام ولفتاهم هذا الذي رُقّ العلم زقاً، وورث ما كان لآبائه من الخطوة في العلم والجلالة في القدر، والخطر في الأمور، هكذا قدّم المأمون أبا جعفر لبني العباس، وحقيقة الأمر غير ما يدّعيه من الحرص لأبي جعفر الجواد، فإنّ للمأمون حنكة السياسة في ترتيب الأمور، وغدرة المناور في دفع التّهم، وإبعاد الخطر من معارضة العلويين الذين تحفّزوا للثأر من المأمون الذي قتل الرضا غيلة.

ولعلّ زواج الجواد محمد من ابنة المأمون كانت مناورة جديدة يرتكبها المأمون. فلمّا أراد المأمون أن يزوّج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين، فغلظ عليهم، واستنكروه منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما ينتهي مع الرضا عليه السلام، فحاضوا في ذلك، واجتمع منهم أهل بيته الأدنون منه، فقالوا:

نشذك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف أن يخرج به عنا أمر قد ملكناه الله عزّ وجلّ وينزع منا عزّاً قد ألبسناه الله وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلةٍ من عملك مع الرضا ما عملت فكفانا الله المهم من ذلك فالله الله أن تردّنا على غمٍّ قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون:

أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالبٍ فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكانوا أولى لكم. وأمّا ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم.

ما كان منّي من استخلاف الرضا، ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

مؤهلات أبي جعفر عند المأمون

وأمّا أبو جعفر محمد بن عليّ فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلمون أنّ الرأي ما رأيته.

فقالوا له: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه،

فأمله ليتأدّب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم، إنّي أعرفُ بهذا الفتى منكم، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفت لكم من حاله.

اقتراح العباسيين على المأمون

قالوا قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفيينا الخطب في معناه. فقال لهم المأمون: شأنكم وذلك متى أردتم.

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكنم، وهو يومئذٍ قاضي الزمان، على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون وسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك.

المناظرة ... الجولة الحاسمة

فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكنم، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست، ويُجعل له فيه مسوّرتان^(١)، ففعل ذلك، وخرج أبو

(١) المِسْوَرُ والمِسْوَرَةُ: مُتَكَأ من أدم، وجمعها المَسَاوِر. لسان العرب: ٦/٤٢٨ (مادة: سور).

جعفر وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكتم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دسّ متصل بدست أبي جعفر عليه الصلاة والسلام.

فقال يحيى بن أكتم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسال أبا جعفر عن مسألة؟

فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكتم، فقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «سل إن شئت».

قال يحيى: ما تقول جعلت فداك في مُحَرَّم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «قتله في حِلٍّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدأ بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مُصِراً على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم في النهار؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرماً».

فتحيّر يحيى بن أكتم وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟

عرض المأمون على الإمام الجواد عليه السلام الزواج من ابنته

ثم أقبل على أبي جعفر عليه السلام فقال له: أتخطب يا أبا جعفر؟

فقال: «نعم يا أمير المؤمنين»، فقال له المأمون: اخطب لنفسك جعلت فداك، قد

رضيتك لنفسي، وأنا مزوّجك أمّ الفضل ابنتي وإن رغم قوم لذلك.
 فقال أبو جعفر عليه السلام: «الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيتيه،
 وصلى الله على محمد سيّد بريته، والأصفياء من عترته.
 أمّا بعد، فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، وقال
 سبحانه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا
 فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).
 ثم إنّ محمد بن علي بن موسى يخطب أمّ الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها
 من الصداق مهر جدّته فاطمة بنت محمد عليه السلام، وهو خمسمائة درهم جياداً، فهل
 زوّجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟
 فقال المأمون: نعم، قد زوجتك يا أبا جعفر أمّ الفضل ابنتي على الصداق
 المذكور، فهل قبلت النكاح؟
 قال أبو جعفر عليه السلام: «قد قبلت ذلك ورضيت به».

مراسم الاحتفال في بلاط الخلافة

فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة. قال الرّيان: ولم
 نلبث أن سمعنا أصواتاً تشبه أصوات الملاحين في محاوراتهم، فإذا الخدم يجرون
 سفينةً مصنوعةً من فضة مشدودة بالحبال من الإبريسم، على عجلة مملوءة من
 الغالية، ثم أمر المأمون أن تخضّب لحاء الخاصّة من تلك الغالية، ثم مدّت إلى دار
 العامة فططبوها منها، ووُضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كلّ قومٍ
 على قدرهم.

توضيح الإمام مسألته الفقهية

فلما تفرّق الناس وبقي من الخاصة من بقي، قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام: إن رأيت جعلت فداك أن تذكر الفقه الذي فضّلته من وجوه من قتل المحرم لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «نعم، إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحِلِّ وكان الصيد من ذوات الطير، وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، وإذا قتل فرخاً في الحِلِّ فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، فإذا كان من الوحش وكان حمار وحشٍ فعليه بقرة، وإن كان نعاماً فعليه بدنة، وإن كان ظيياً فعليه شاة، وإن كان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة.

وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه، وكان إحرامه بالحجّ نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء. وفي العمد عليه المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفارة على الحرّ في نفسه، وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط ندمه عنه عقاب الآخرة، والمُصرّ يجب عليه العقاب في الآخرة».

رغبة المأمون في إظهار فضل الإمام على يحيى وبني العباس

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر، أحسن الله إليك، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك.

فقال أبو جعفر عليه السلام ليحيى: أسألك؟

قال: ذلك إليك جعلت فذاك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه، وإلا استفتته منك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: «أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلّت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، ما حال هذه؟ وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: «هذه أمة لرجل من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاه فحلّت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلّت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له».

ثناء المأمون على الإمام وقوة موقف المأمون أمام العباسيين

قال: فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدّم من السؤال؟ قالوا: لا والله، إنّ أمير المؤمنين أعلم وما رأى.

فقال: ويحكم، إنّ أهل هذا البيت خُصّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإنّ صِغَر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال.

أما علمتم أنّ رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنّه غيره، وباع الحسن والحسين وهما أبناء دون الستّ سنين ولم يبايع صبيّاً غيرهما؟

أو لا تعلمون ما اختصّ الله به هؤلاء القوم، وإنّهم ذرّية بعضها من بعض، يجري لأخرهم ما يجري لأولهم؟
فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم.

الاحتفال الرسمي بزواج الإمام الجواد عليه السلام من أمّ الفضل

فلما كان من الغد أحضر الناس، وحضر أبو جعفر عليه السلام وسائر القوّاد والحجّاب والخاصّة والعمال لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة، فيها بنادق مسك وزعفران، معجون في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة، وعطايا سنّية، وإقطاعات، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته، فكان كلّ من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق يده له، ووضعت البدر، فنثر ما فيها على القوّاد وغيرهم، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا. وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين، ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظماً لقدره مدّة حياته، يؤثّر على ولده وجماعة أهل بيته^(١).

ولم نجد تصويراً للواقع أقرب من هذه الرواية، والتي حفلت بقراءاتٍ عدّة:

القرارات المتعدّدة لمواقف المأمون من الإمام عليّ

القرارة الأولى: دعوة المأمون لأبي جعفر الجواد عليّ وإقامته في العاصمة أضاف لقناعتنا مؤشراً آخر على تورّط المأمون في اغتيال الإمام الرضا وتصفيته جسدياً، ومحاولة المأمون إبعاد هذه التهمة عنه، فضلاً عن امتصاص النقمة الجماهيرية لدى الأوساط العامة من المسلمين وخصوصاً شيعة الإمام، الذين باتوا يدركون أهمية المعارضة ضد النظام، ومحاولة تنظيم صفوفهم لإيقاف الانتهاكات التي ارتكبها المأمون ونظامه من إجبار الإمام الرضا عليّ على مغادرة المدينة والإقامة في خراسان، وفرض قبول ولاية العهد بالتهديد والقوة، حتى النهاية التي انتهت إليها مخطّطات المأمون من اغتيال مشروعه السياسي الذي تبناه، وهو المصالحة مع الأطراف الشيعية والعمل على إيجاد هدنة لوقف الاحتجاجات الشيعية ومعارضتها، وقد احترمت هذه القواعد رغبة المأمون في إيجاد مخرج للأزمة السياسية بينه وبين المعارضة الشيعية، فضلاً عن منح الثقة لنظام المأمون في الأخذ بزمام المبادرة في تنقية الأجواء الملبّدة بغيوم القطيعة دائماً، والمتوترة بين البيتين: العباسي الحاكم، والعلوي المعارض.

إلا أنّ المأمون لم يحسن المهمة، فأودى بمشروعه ودعاواه الإصلاحية؛ وذلك بتعرض الإمام الرضا عليّ للتصفية على يديه، كما مرّ.

واليوم يريد المأمون ترميم هذه المحاولة الإصلاحية بدعوة الإمام الجواد عليّ للإقامة عنده، إلّا أنّه أخذت المحاولة هذه المرة منحىً آخر، وهو تأمين جانب الإمام الجواد خشية أن تصدر من قبل الإمام محاولة الثأر والانتقام لوالده -هكذا تصور المأمون؛ وذلك على أساس الحسابات السياسية المتعارفة في البلاط العباسي، والتي ابتعد عنها أهل البيت تماماً - فلعلّ الإمام يوعز لقواعده

الشيعية بالتحرك ضد النظام وإعلان التمرد أو الانتفاضات وحتى الثورات الشعبية، إلا أن أئمة أهل البيت عليه السلام لم ينتهجوا هذا الأسلوب المادي في المواجهة مع الحاكم، بقدر ما أرادوا عليه السلام الإبقاء على وحدة الأمة والعمل على تربيتها الروحية والأخلاقية، وأي تقدم في هذا المضمار يعدّ نجاحاً كبيراً في مهمة الإمام عليه السلام وإنجازاً يحققه على صعيد تنفيذ الرسالة، وتحقيق الأطروحة الإلهية في تكامل الإنسان وتنامي المجتمع الرسالي.

هذا أحد الأسباب -كما نرى- من دعوة المأمون للإمام عليه السلام إلى الإقامة عنده والزواج بابنة المأمون تنفيذاً لرغبته.

القراءة الثانية:

يتطّلع المأمون بكلّ ثقةٍ إلى قراءة المجريات التاريخية على أساس الواقع الموضوعي بكلّ تجرد، فهو بغضّ النظر عن دوافعه لهذه القراءات التاريخية ودواعيه المختلفة فإنّ تحليله لسبب القطيعة بين العباسيين وبين العلويين ببيان مظلمة العلويين ممّا ارتكبه العباسيون من قطيعة الرحم، (وأما ما كان يفعله من قبلي بهم، فقد كان قاطعاً للرحم)^(١). فاللقاء المسؤولية على الجانب العباسي تنظير للمسيرة التاريخية وحقائقها المختفية وراء حجب الاعتذار الذي تعهّده الكتابات التاريخية الدائرة في فلك النظام، والمأمون اليوم يكشف عن هذه الخفايا؛ ليجسّد الحيف الذي عاناها أهل البيت عليه السلام وأتباعهم.

ولا يهمننا دوافع المأمون من موقفه هذا بقدر ما هي محاولة لتعزيز وجهة نظره في اتخاذ إجراءاتٍ لتقريب العلويين، والدفاع عن سياسته الجديدة التي فاجأ بها

(١) مناقب آل الرسول للنجف آبادي: ص ٢٠٩.

بني أبيه من العباسيين، فالقاء اللائمة على السياسة العباسية في عدائها التقليدي للعلويين عزّز الموقف الجديد لتوجّهات المأمون. وبهذا التنظير كسب المأمون جولة النزاع الأيديولوجي بين التوجّهين العباسيين: العباسية التقليدية التي يقودها عباسيون محافظون، والعباسية المأمونية التي يتزعمها المأمون وتياره الإصلاحية المنفتح لإيجاد مخرج لأزمة العلاقة المتشنّجة بينهم وبين آل عليّ الأقرب إلى قلوب الناس، والأحقّ بهذا الأمر، وعلى أساس قناعات جديدة بالاهتمام لاستنادها على أدلة شرعية منطقية.

القراءة الثالثة:

تُظهر الرواية وجودَ تجاذباتٍ فكريةٍ بين الخطّين العباسيين المتنازعين: الخطّ العباسي التقليدي، والخطّ العباسي المأموني، فالأول يحاول تنيّ المأمون عن قراره بأنّ محمد بن عليّ عليه السلام لم يزل غير مؤهلٍّ للمسؤولية الخطيرة التي يتطلّع إليها المأمون؛ لصغر سنّ «محمد» هذا، وهو بحاجة إلى أن يتلقّى العلم والفقه على يد مؤدّبين يخصصهم المأمون له، في حين يحاول المأمون إثبات خلاف هذه النظرة الساذجة التي تنمّ عن معرفة سطحية بأحوال محمد بن عليّ عليه السلام، في حين تكشف توجّهات المأمون عن معرفة جديدة بمقام الإمام ومقتضيات الإمامة، وأنّ أهل هذا البيت لا يقاسون بأحد، فهم أهل العلم، وخزنة الأسرار الإلهية «فقد اخترته لإبرازه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنّه والأعجوبة فيه بذلك»^(١).

وهذه النظرة المتفائلة لدى المأمون في إمكانية «محمد عليه السلام» وأهليّته لمهّمة أبيه

تنبع عن قناعات المأمون في حيثيات هذا البيت العلوي، وتقدّمه في كلّ الأمور، وصلاحيته للخلافة دون غيرهم، وهذه النظرة التفاضلية في توجهات المأمون لأهل هذا البيت العلوي تُجيب عن تساؤلاتٍ عدّة في سبب تعاطيه مع آل عليّ عليه السلام، متجاوزاً تقليدية العداء بين العباسيين والعلويين.

القراءة الرابعة:

يمثّل فقه يحيى بن أكثم بأنّه الفقه المقابل لمدرسة أهل البيت عليه السلام أو الفقه الرسمي الذي تتعاطى معه الدولة، في حين يُعدّ فقه أهل البيت عليه السلام هو الفقه المطارد، وفي جولة المناظرة التي أقامها المأمون بطلب من العباسيين، ظهر مستوى هذا الفقه مقابل تدنّي مؤهلات أصحابه، فهو مهزوم أمام مناظره الآخر «فقه عليّ عليه السلام»، الذي مثله محمد بن علي الجواد عليه السلام، وهو الشعور الكامن في دواخل المأمون، بل العامة كذلك، إلّا أنّ الغلبة السياسية تلعب دورها في الترهيب الثقافي، وتوجهات المدارس الفكرية المناوئة لأهل البيت عليه السلام تُعطي انطباعاً عاماً عن الفقه الرسمي بأنّه هو الفقه الذي يمثّل التيار العام، فكانت جولة المناظرة هذه امتحاناً لأهلية هذا الفقه، وكانت خسارة بن أكثم في المناظرة انعكاساً لمدى صلاحية هذا الفقه الذي مثله، بخلاف العمق والموضوعية التي تجلّت على طروحات محمد بن علي الفقهية.

ولم يكتفِ المأمون بالهزيمة التي لحقت بيحيى بن أكثم جرّاء هذه المناظرة، بل زاد على ذلك بأن طلب من الإمام الجواد عليه السلام أن يسأل يحيى ليؤكد هزيمة العباسيين في هذه الجولة، وانتصار الجانب الذي كان يلتزمه المأمون، وهو الطرف التقليدي المعارض للعباسيين، ولما لم يستطع ابن أكثم الإجابة على مسألة الإمام

أعلن المأمون انتصاره على خصومه العباسيين، فأقبل على توبيخهم وتأنيبهم لموقفهم المتشدّد ضدّ آل البيت عليه السلام.

«فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجيب هذه المسألة بمثل هذا الجواب، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله، إنّ أمير المؤمنين أعلم وما رأى.

فقال: ويحكم، إنّ أهل هذا البيت خُصُّوا من الخلق بما ترون من الفضل، وإنّ صغر السنّ فيهم لا يمنعهم من الكمال. أما علمتم أنّ رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين، وقبِل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنّه غيره، وباع الحسن والحسين عليه السلام وهما ابنان دون الستّ سنين، ولم يبايع صبيّاً غيرهما؟! أو لا تعلمون ما اختصّ الله به هؤلاء القوم، وإنّهم ذرّية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟! فقالوا: صدقت يا أمير المؤمنين، ثم نهض القوم»^(١).

كان هذا التنظير الذي قدّمه المأمون أطروحةً لمشروعه ومسوّغات لإجراءاته التي وقف حيالها العباسيون موقف الناقم والمعارض، ولم يُبدِ العباسيون أي اعتراضٍ في هذا الشأن؛ وذلك لما للمأمون من حُجَجٍ أفحمت معارضيه، وأوقفت حملات السخط الذي بدأ، تعاطي العباسيين مع المأمون كونه خارجاً على نظامهم التقليدي في العداء لآل عليّ (عليهم السلام) وشيعتهم.

القراءة الخامسة:

تُعَدُّ هذه المناظرة وأمثالها من المناظرات الأخرى مؤشراً مهماً على تقدّم

المعارضة العلوية في سبيل إنجاز وتحقيق مهامها على الصعيد العام، فالمحاولات العباسية في إخفاء معالم مدرسة آل البيت عليه السلام سعت إليها كافة الأطراف السياسية والعقائدية المناوئة لهم، وكانت السلطة العباسية تُسيّر دفة هذه المحاولات؛ لتساهم في طمس معالم المدرسة العلوية وتصنيفها في خانة المعارضة المطاردة، والأطروحة المحظورة، إلا أن حالة من الانفراج الإعلامي بدت معالمها واضحة، بعد أن أزيلت بعض القيود العباسية على أطروحة آل البيت عليه السلام، والتي تمنع من انتشارها أو تدوالها لتطلع الأمة على أحقية هذا الفكر الناضج والتوجه الرشيد.

القراءة السادسة:

إنّ التقدم الحاصل في مسيرة المدرسة العلوية سيؤجج مشاعر العباسيين، ويثير توجّسات أولئك السائرين في فلكهم السياسي من القضاة والفقهاء، الذين شعروا بهزيمة واضحة وخسارة لا يمكن الاعتذار عنها أحبطت معها مشاريع هؤلاء؛ ممّا دعاهم إلى التفكير بكل جدية في التخلص من الإمام الجواد عليه السلام، كما كانت محاولات ابن أبي داود في التآمر عليه، وهو القاضي الذي هزم أمام المعتصم في مسألة فقهية أبدى اجتهاده فيها وخالفه محمد بن علي في الرأي، فكان المعتصم مذعناً لأدلة «محمد» والأخذ بها وتجاهل آراء فقهاء البلاط، فكانت تلك الحزاة دافعةً لهؤلاء في التخلص من «محمد بن علي»، الذي هيمنت مدرسته على مدارس فقهاء البلاط، وغدت هذه المدارس تتراجع أمام تقدّم مدرسة العلويين الفقهية، التي كانت يوماً ما محظورة على الصعيد الرسمي، وهو أمر أرق هؤلاء الفقهاء، حتى نفذوا في محمد بن علي مؤامراتهم التي حقّقها المعتصم بعد ذلك.

فقهاء نظريات الاعتذار

ولم تحدّ مضايقات فقهاء البلاط من نشاط محمد بن علي الجواد عليه السلام، فقد شمع في عطائه شموخ الأوائل، دون أن تراوده فكرة الإحباط رغم ما يعانیه من مؤامرات أولئك المتوجّسين؛ خيفة من منافسة «محمد» لمقاماتهم الرسمية التي زعزعتها الرياح العاتية لحركة المأمون، فتقتلع معها الثوابت التي دعا إليها «محمد» ونافع من أجلها آباؤه من قبل.

كان البلاط يترصد تحركات الإمام، وفقهاء البلاط يتربصون به ليقعوه في قضية ساخنة تجرّه إلى مواجهاتٍ غير محمودةٍ، وهم يسعون لإذكاء روح العداء بين الإمام الجواد عليه السلام وبين الأمة التي ما فتأت تتحدّث في قابلياته ولياقته، وهي لا تخفي إعجابها به، فإنّه امتداد لسلالة النبوة، ومستودع العلوم، وكان إعجاب الأمة بحفيد النبي صلى الله عليه وآله يؤصّل نظرية السماء في خلافة الله على الأرض، وليس الفقهاء بغافلين عن ذلك الذي تستشعره الأمة في حفيد محمد صلى الله عليه وآله، ولا تخفي عليها مناورات التآمر حينما تريد أن توقع ما يثير الأمة ويستفزّها من مطارحات عقائدية تُوجّج شحنة العامة وتُقدّمها مادةً للفرقة والاحتراب.

ولم يغب عن الجواد محمد أنّه عليه السلام صاحب رسالة ورثها عن آباءه عن النبي صلى الله عليه وآله، فهو اليوم يؤسّس لنظرية أسلافه، كما هو يؤصّل ويُقنّن، فخلافاً للخلافة بات يؤرّق الأمة حيثما لم تهتد في ظلّ رؤى النظام والتأريخ المسيس وقتذاك، ولا بد ليحيى بن أكنم المنهزم بالأمس أن يوقع بمحمد بن علي الذي كشف عواره وأظهر للناس سذاجة ما يحمله يحيى من علم أغدق عليه النظام لقب «قاضي القضاة»، فهو اليوم يثار لكرامته المهدورة وشخصيته الممتهنة بالأمس، فبادر في

اليوم الثاني أن يسأل يحيى هذا السؤال للإمام محمد عليه السلام:

قال يحيى بن أكتهم: ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روي: أنه نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال: يا محمد، إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راضٍ فإنني عنه راضٍ؟! (١)

فقال أبو جعفر عليه السلام: «لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في حجة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فأعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (٢). فالله عز وجل خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سرّه؟! هذا مستحيل في العقول!».

ثم قال يحيى بن أكتهم: وقد روي: «أنّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثلي

(١) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه هكذا عن ابن عمر، قال: كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق، عليه عباة قد خلّها على صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباة قد خلّها على صدره بخلال؟ قال: أنفق ماله عليّ قبل الفتح. قال: فأقرئه عن الله السلام وقل له: يقول لك ربك: يا أبا بكر، أراضٍ أنت عني في ففرك هذا أم ساخط؟ قال: فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر، فقال: يا أبا بكر هذا جبريل يُقرئك عن الله السلام، ويقول لك: أراضٍ عني في ففرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكي أبو بكر، وقال: أعلى ربّي أسخط؟! أنا عن ربّي راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ، أنا عن ربّي راضٍ. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٦/٢، والعجيب أنّ الخطيب سكت عمّا رواه ممّا يدلّ على ارتضائه لهذه الأعاجيب.

جبرائيل وميكائيل في السماء».

فقال ﷺ: «وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه؛ لأنّ جبرائيل وميكائيل ملكان لله مقربان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإن أسلما بعد الشرك، فكان أكثر أيّامهما الشرك بالله، فمحال أن يُشبههما بهما».

قال يحيى: وقد روي أيضاً «أنّهما سيّداه كهل أهل الجنة». فما تقول فيه؟
فقال ﷺ: «وهذا الخبر محال أيضاً؛ لأنّ أهل الجنّة كلّهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية؛ لمضادّة الخبر الذي قاله رسول الله ﷺ في الحسن والحسين ﷺ بأنّهما سيّداه شباب أهل الجنّة».

فقال يحيى بن أكتهم: وروي: «أنّ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة».
فقال ﷺ: «وهذا أيضاً محال؛ لأنّ في الجنة ملائكة الله المقرّبين، وآدم ومحمد، وجميع الأنبياء والمرسلين لا تضيء الجنة بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟!».
فقال يحيى: روي: «أنّ السكينة تنطق على لسان عمر».

فقال ﷺ: «لست بمنكر فضل عمر، ولكنّ أبا بكر أفضل من عمر، فقال عليّ رأس المنبر: إنّ لي شيطاناً يعتريني، فإذا ملّْتُ فسدّدوني».
فقال يحيى: قد روي: أنّ النبي ﷺ قال: «لو لم أبعث لُبِعث عمر».

فقال ﷺ: «كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾^(١) فقد أخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن أن يبدّل ميثاقه؟! وكلّ الأنبياء ﷺ لم يُشركوا بالله طرفة عين فكيف يبعث بالنبوة من أشرك وكان أكثر أيّامه مع الشرك بالله؟! وقال رسول الله ﷺ: تُبْنِثُ وَاَدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجسد».

فقال يحيى بن أكتثم: «وقد روي أيضاً: أن النبي ﷺ قال: «ما احتبس عني الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب».

فقال عليه السلام: «وهذا محال أيضاً؛ لأنه لا يجوز أن يشك النبي ﷺ في نبوته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^(١)، فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟!».

قال يحيى: روي أن النبي ﷺ قال: «لو نزل العذاب لما نجا منه إلا عمر». فقال عليه السلام: «وهذا محال أيضاً؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢). فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون^(٣).

ولم يكن يحيى قد ألقى على الإمام الجواد عليه السلام هذه الأسئلة لمجرد كونها أسئلة نقلها يحيى عن الرواة ليقف على الصحيح منها، بقدر ما هي محاولات استدراج استفز بها أبا جعفر أمام المأمون، وأهل الحل والعقد من أصحاب القرار في الدولة العباسية يحضرون هذا الحوار... ولم يكن بوسع الإمام السكوت عن كل ما طرحه يحيى، فالإمام في طور التأسيس لمبتنيات أفقدتها السياسة حضورها، وهُمشت توجهاتها في خضم صراعٍ سياسيٍّ تقليديٍّ ألقى معها جميع الثوابت عند ذاك، وكان يحيى في موقع التنظير لنظرية الخلافة والتأصيل لتداعيات السقيفة حينما قدمت رجالاتها، دون أن يجد المسلمون أي فضل لأصحابها، وكأن نظرية السقيفة حوصرت من قبل معارضة أهل البيت الصامته، إلا أنها كانت ناطقة بفضل أصحابها

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الأنفال: ٣٣.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ٤٧٧/٢ - ٤٨٠، ح ٣٢٣، وعنه البحار: ٨٠/٥٠، ح ٦.

ومقامات أهلها، وكانت تُدين أولئك الذين تدافعوا على مقام الخلافة بمحاولات الغلبة السياسية ومناوراتها.. ولم يجد أتباعها بعد ذلك مندوحة من السكوت أو الغضب عن كل ما يلزمه المتسائلون عن حقيقة الاستحقاق الذي دعا أهل السقيفة إلى ترشيح أنفسهم، ودفع الآخرين بقوة السيف عن كل معارضة تُطيح بمشروعهم هذا.

ووجد هؤلاء الأتباع أنهم تحت طائلة التساؤل الحثيث في تقديم رؤية عن قابليات أصحاب السقيفة، الذين أغلقوا الطريق على كل أحد للوصول إلى منصب الخلافة.. فهم الآن مطالبون بوضع ملامح الصورة الجديدة لأصحاب السقيفة، ووضع رتوش التجميل حتى على حساب المبادئ.. وهم اليوم أحوج إلى ذلك من أي وقت كان بعد أن صار للمعارضة العلوية حضورها..

إذن فليكن يحيى وغير يحيى من أصحاب نظرية السقيفة أن يبرمجوا نظريتهم حديثاً، أي محاولة استيعاب الحديث النبوي لنظرية السقيفة على أساس لون من ألوان الفضائل؛ وليجدوا الحديث الآن حاضراً في قولبة نظرية السقيفة وحضورها ضمن مخططات رواة الحديث، وقصارى ما تجيب المعارضة العلوية في نظر هؤلاء: أن هذه الأحاديث موضوعة، وأقصر الطرق لرد المنكرين لهذه الأحاديث بأن هؤلاء لم يستطيعوا استيعاب هذه الفضائل حسداً منهم لأهل الشأن من السقيفيين الأوائل، وأهل السلف من الأصحاب، وبذلك فستكون في نظر يحيى وفريقه أجوبة المعارضة واهية لا تنفع شيئاً..

وفي غمرة هذه التمنيات التي توقّعها هؤلاء تفاجؤهم أجوبة الإمام الجواد بقرآنية الأدلة وسنن النبي ﷺ التي يتفق عليها الفريقان، أي كان للقرآن حضوره،

وصار الإمام يحاكم هذه النصوص بآيات الكتاب، ولم تجد ليحيى بعد ذلك أية مشاركة على صعيد الدفاع عن مبتنياته التي صاغها على أساس الحديث النبوي فهو مجرد متلق لصناعات الإجابة بكل تسليم دون أن يقوى على ردّها أو إنكارها على الأقل، ممّا سجل هذا الحوار سبباً في دفع نظرية الإمامة إلى تقدم واسع شاهده المأمون وسمعه الآخرون، ولعلّ هذا الانتصار الرائع من مقتضيات نشر عقيدة آل البيت عليه السلام في الأوساط السياسية المتشنّجة ضدهم، وفي الوقت نفسه كان هذا الانتصار داعياً كذلك للتأمر على حياة الإمام من قبل فقهاء الاغتيالات «الإسلامية»، أي التصفيات الجسدية للمعارضة وهي ترتدي لباسها الديني الفتواي.

الجواد ووراثه التوحيد...دفاع عن الوحدانية الحقّة

ولم يكتفِ «محمد عليه السلام» في دفاعه عن مبدأ الإمامة ما لم يكن مطعماً بمبدأ التوحيد، فالتشبيه والتجسيم صنمية الثقافة العباسية المستوردة من خلف الأسوار الإسلامية، تنتفض اليوم بعد أن دعاها معاوية بن أبي سفيان برجالها المنظرّين: كعب الأحبار وأبو هريرة وأمثالهما؛ لإيجاد صيغ جاهزة تحرف المسيرة التوحيدية عن اتجاهها المحمدي الذي أرسى قواعده إبان دعوته، وتراجع هذه التنظيرات التجسيمية بعد تصدّي أهل البيت عليه السلام خصوصاً، وعصر الإمامين الباقر والصادق عليه السلام يسمحان للتحرك بهذا الاتجاه، إلّا أنّ عصر المزاجية الثقافية بين الغرب المسيحي والشرق الإسلامي دعا المأمون أن يتسامح في إذكاء روح الثقافة التجسيمية من جديد، ولم يكن بوسع أئمة أهل البيت عليه السلام إلّا أن يتصدّوا

لمثل هذه التيارات وإيقاف عتوّها المقتلَع لثواب التوحيد.

وكان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قد تمتّع بفرصة الحوار مع أولئك المجسّمة من المسلمين والديانات الأخرى: يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها، فاغتنتم فرصة المحاورات الرسمية التي عقدها المأمون لإظهار فضل الإمام الرضا عليه السلام ومقامه العلمي، وتصويب رأيه في اختياره الموفق للإمام ولياً للعهد، واليوم خليفته الجواد يعتلي منصّة الحوار، ويلقي من نظريات التوحيد ما توقّف معها انتهاكات أولئك المجسّمة وأمثالهم.

ففي جوابه لمن سأله عن الرب تعالى: ألّه أسماء وصفات في كتابه؟ وهل أسماؤه وصفاته هي هو؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: (هي هو) أنّه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك، وإن كنت تقول: (هذه الأسماء والصفات لم تزل) فإنّ ممّا لم تزل محتمل على معنيين:

فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو يستحقها فنعم، وإن كنت تقول: لم تزل صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه ويعبدون، وهي ذكره وكان الله سبحانه ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعنيّ بها هو الله، لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنّما يختلف ويتألّف المتجزّئ، ولا يقال له: قليل ولا كثير، ولكنّه القديم في ذاته؛ لأنّ ما سوى الواحد متجزّئ، والله واحد لا متجزّئ ولا متوهم بالقلّة والكثرة، وكل متجزّئ أو متوهم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالّ على خالق له، فقولك: (إن الله قدير)

خبرت أنه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز، وجعلت العجز لسواه، وكذلك قولك: (عالم) إنما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل لسواه، فإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع فلا يزال من لم يزل عالماً.

فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سمياً؟

فقال عليه السلام: «لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس، وكذلك سميناه بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر طرفة العين، وكذلك سميناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وما هو أخفى من ذلك، وموضع المشي منها والشهود والسفاد، والحذب على أولادها، وإقامة بعضها على بعض، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والماور والأودية والقفار، وعلمنا بذلك أنّ خالقها لطيف بلا كيف، إذ كيف للمخلوق المكيف.

وكذلك سمينا ربنا قوياً بلا قوة البطش المعروف من الخلق ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً، فربنا تبارك وتعالى لا شبه له، ولا ضد ولا ند، ولا كيفية، ولا نهاية، ولا تصارييف، محرم على القلوب أن تحمله، وعلى الأوهام أن تحدّه، وعلى الضمائر أن تصوّره، جلّ وعزّ عن أداة خلقه، وسمات بريّته، تعالى عن ذلك علواً كبيراً»^(١).

وفي رواية داود بن القاسم الجعفري قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢) ما معنى الأحَد؟

(١) الاحتجاج للطبرسي ٤٦٧/٢، ح ٣٢١ - عنه البحار: ٤/١٥٣، ح ١.

(٢) الاخلاص: ١.

قال: «المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾^(١) ثم يقولون بعد ذلك: له شريك وصاحبة».

فقلت: قوله: ﴿لَا تُذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾؟^(٢)

قال: «يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدقّ من إبصار العيون، أنت قد تدرك بروحك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولم تدرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف تدركه الأبصار»^(٣).

وفي حديث بن أبي نجران قال: سألت: أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد، فقلت: أتوهم شيئاً؟

فقال: «نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام؟ إنّما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود»^(٤).

وسئل عليه السلام: أيجوز أن يقال لله: إنّ شيء؟

فقال عليه السلام: «نعم، تخرجه من الحدين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه»^(٥).

في واقع إسلامي أغرقته نظريات المتفلسفين القادمة ضمن حملات الترجمة التي بدأها المأمون في جلب الكثير من كتابات الروم الفلسفية، وتوجّهات الهند

(١) العنكبوت: ٦١.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) الاحتجاج ٢/٤٦٥، عنه البحار: ٣٩/٤، ح ١٧.

(٤) التوحيد: ص ١٠٣، ح ٦، عنه البحار: ٢٦٦/٣، ح ٢٢.

(٥) التوحيد: ص ١٠٤، ح ٧، عنه البحار: ٢٦٠/٣، ح ٢٩، الاحتجاج: ٤٦٦/٢، ح ٣٢٠.

القصصية، ومساعي الفرس الأدبية، فضلاً عن ثقافات أهل الصين، ومحاولات الترك، ونزعات البربر، وفنون اليونان، وغيرها من تجسيمات اليهود، وتثليث النصارى، واختلافات أهل الملّة، كل ذلك أربكت عقلية الفرد وأودت بالجماعة الإسلامية إلى تَقَمُّصات هذه الثقافات الجديدة غير الواعية في معرفة صفات الله، فخلطت بين صفات الذات وصفات الفعل، وأثبتت من صفات التنزيه ما كان ينبغي أن تجلّ عنه الذات وتوصف به أفعاله تعالى، وانزلق المجتمع الإسلامي إلى مهاوي التشبيه ومحاولات الإلحاد، حتى كان للإمام الجواد وقبله والده الإمام الرضا عليه السلام الأثر في صدّ عادية هذه التيارات الفكرية المنحرفة.. وأنت ترى ما لهذه الأسس التوحيدية في كلام الإمام الجواد من أثر في انتشار المدرسة الإسلامية من مخاطر الانحراف الفكري القادم.

ما منّا إلّا قائم بأمر الله

مع تزايد الاهتمام في قضية الإمام المهدي عليه السلام من لدن المجتمع الإسلامي؛ وذلك بسبب تصاعد وتيرة الظلم واستشراء الفساد، دفع الناس إلى أن تتوجّه أنظارهم للمنقذ الموعود، وتمنّى هؤلاء أن يرتفع ما يعانیه المجتمع من ظلم وفوضى في المفاهيم الإسلامية بظهور من يعيد للأمة شخصيتها الإسلامية المفقودة، وتوسّل أولئك المحيطون بالأئمة من أهل البيت عليه السلام أن يكون صاحبهم هو القائم الموعود، والإمام الجواد أحد أولئك المؤمل فيهم القيام بأمر الله، إلّا أنّ الإمام الجواد يحاول أن يبعد هذه الفكرة، ويقرب صفات القائم عليه السلام إلى أذهان الناس، بقوله لعبد العظيم الحسن بن عليّ حين سأله عن القائم، حيث قال:

قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: يا مولاي، إنّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فقال عليه السلام: «ما منّا إلّا قائم بأمر الله، وهادٍ إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يطهر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً هو الذي تخفى على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، وتحرم عليهم تسميته، وهو سَمِيَّ رسول الله وكنيه، وهو الذي تُطوى له الأرض، ويُدلّ له كل صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض؛ وذلك قول الله ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشر آلاف رجل خرج بإذن الله، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى عزّ وجلّ».

قال عبد العظيم: فقلت له: يا سيدي، فكيف يعلم أنّ الله قد رضي؟ قال: «يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزّى فأحرقهما»^(٢).

ولم يكن عبد العظيم قد اختلط عليه أمر قائمهم عليه السلام، فهو الحامل لأحاديثهم، والحافظ لتراثهم، والقيّم على رواياتهم إيّان اشتداد الأمر على شيعتهم وملاحقتهم إيّاهم، فكان عبد العظيم الحسيني مهاجراً إلى حيث حفظ نفسه الشريفة وتراث أئمة المقدس، حرصاً منه على إيصال هذا الكمّ الهائل من تراثهم إلى أجيال شيعتهم، وهو الملازم لهم عليه السلام في أحلك الظروف، فكيف يغيب عن عبد العظيم مسألة القائم

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) الاحتجاج: ٤٨١/٢، ح ٣٢٤، اكمال الدين: ٣٧٧/٢، ح ٢، ب ٣٦، عنه البحار: ٢٨٣/٥٢.

وتشخيصه حتى يختلط عليه الأمر فيسأل الجواد عليه السلام عن كونه القائم أم لا؟! وعلى ما يبدو أنّ عبد العظيم أراد أن يسأل الإمام الجواد عليه السلام عن القائم لیسعد شبهة الضعفاء الذين يتوسّلون بأيّ شخصية يجدون فيها مواصفات خاصة يقتنعون بها، فيجعلون صاحبها مؤهلاً لأن يكون المهدي، وقد انخرط في شبهة المهديّة الكثير، حيث نسبوها إلى بعض الأئمة عليهم السلام، كالإمامين الصادق والكاظم عليه السلام، ولبعض أبناء الأئمة كذلك، والظاهر أن ضيق الظروف الأمنية والاختناق السياسي الذي تفرضه السلطة تدفع بالبعض إلى اضطراب العقيدة المهديّة لديهم، فيأملون أن يكون الإمام الحاضر هو قائم آل البيت عليهم السلام، وهو ما دعا عبد العظيم الحسني أن يثير هذا التساؤل الخطير، وقد أضاف عبد العظيم بسؤاله هذا للإمام تراثاً مهدوياً مهماً، ورؤية ناضجة معصومة؛ كي تعرف الأئمة في ظلّ هذه الظروف إمامها وواقعه الذي يحبط به.

الإمام الجواد... راوية الحديث المحظور

لم يزل حديث عليّ عليه السلام محاصراً يعاني من الحظر الرسمي الذي لا يجوز معه في عرف السياسة أن تبقى آثاره كمعارضة شاخصة تدين النظام القائم، وتُحرّض الأئمة أن تقرّأ واقعها على أساس معطيات الإسلام الأصيل، ولم يزل رواته يحفظونه في صدورهم، ويكتمونه خشية الملاحقة والقتل والتنكيل، وهو مع هذا كله يخترق حواجز الممنوع وحجب المحظور، وسياسات الأنظمة لا تقوى على قهر إرادة الأئمة في حقها للوقوف على المعرفة الحقيقية حينما تجدها في منابعها الروائية، فالحظر لم يرهّب الحديث النبوي يوم كان محظوراً عليه ومحجوراً على

رواته، وهو لا يوقف رغبة الأئمة في سماعها الحديث، ولا يلغي دور رواته في مناقلته والعمل على ضوئه، ولم يجد الحديث متنفساً بعيد رحيل نبيه ﷺ، حتى مرّ بفترات الحظر والمطاردة والقهر، بل وحتى التحريف يوم كان معاوية بن أبي سفيان متوثباً ليلقّق أحاديث موضوعة تحطّ من مناقب أعدائه وفضائلهم وكل ما ورد في علي وآل علي عليه السلام، وتحدث ما ينافي ذلك لتنسج الفضائل على لسان النبي ﷺ في شخص معاوية وآل أبي سفيان، وفيما ذكرناه في بحوث تاريخ الحديث النبوي بين سلطة النصّ ونصّ السلطة غنى عن كل مجريات معاناة الحديث وحملته ورواته.

في ظلّ هذا الصراع المحتدم بين الحديث النبوي وبين السلطة صراع بكل حيثياته ودقائقه وتوجّهاته، بل صراع بين مفاهيم الحديث وقيمه، وبين دواعي السلطة وطموحها في الاستحكام على مناشئ الحديث ورواته؛ لتغلق منافذ الطريق على القيم الأصيلة التي يحملها الحديث النبوي، أضف إلى ذلك أنّ الحديث النبوي بمثابة الرقيب على الحاكم ونظامه، فهو إذن حالة من حالات العرقلة لتحركات النظام باتجاهاته الخاصة البعيدة عن الشريعة والتزاماتها، وبذلك سيعيش النظام مذعوراً من الحديث، تطارده هواجسه التي ما فتئت تُدين النظام ورجالاته، من هنا تعرف مدى الهوة الساحقة بين الحديث النبوي كمفهوم وبين السلطة كتوجّهات وطموحات جامحة، ومثل هذا الوضع الحذر الذي يعيشه النظام من الحديث لا يسمح بعد ذلك لرواته أن يؤسّسوا مدرستهم الروائية على أساس مبتنيات سليمة، ومعنى ذلك أنّ الحديث الملاحق يبقى محاصراً، إلّا أنّه يجد متنفساً أحياناً ليبيح به حملته إلى أسماع الثقافات.

وإذا كان النظام قد أذن أن تتخذ ثقافة أهل البيت عليه السلام متسعاً من الحركة إبان المأمون العباسي الذي أسس نظرية إمكانية التعايش مع العلويين ودعا إلى سياسة التسامح والحوار، فإن الإمام محمد الجواد عليه السلام سيكون في طليعة أولئك المعنيين بهذه النظرية المأمونية التي من خلالها أشرف الحديث النبوي من نافذة الإمامة على ثقافة الأمة وتوجهاتها، وكان الإمام الجواد عليه السلام حاضراً في تمتين العلاقة بين الأمة وبين الحديث النبوي؛ لذا سيجد الحديث متنفساً يتجه بامتداداته إلى قطاعات الأمة بكل ألوانها؛ لذا فإن الإمام عليه السلام قدّم نماذج المعرفة على أساس صيغ الحديث النبوي، أو الحديث العلوي المضمخ بدماء آل علي منذ عقود حتى يصل معافى دون أن تمسه يد الوضع والتحريف.

فقد روى عليه السلام عن آبائه عليه السلام عن علي عليه السلام، قال: «بعثني النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فقال لي وهو يوصيني: يا علي، ما حارَ من استخار، ولا ندم من استشار. يا علي، عليك بالدلجة (أي السير بالليل) فإنَّ الأرض تُطوى في الليل ما لا تطوى بالنهار. يا علي، اغدُ باسم الله فإنَّ الله بارك لأمتي في بكورها»^(١).

وقال عليه السلام: «من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة»^(٢).

وعنه عليه السلام وقد سئل عن حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنَّ فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار؟ فقال: خاصٌّ للحسن والحسين»^(٣).

وعنه، عن علي عليه السلام قال: «في كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام: أن ابن آدم أشبه شيء

(١) أمالي الطوسي: ص ١٣٦، ح ٣٣، كشف العمة: ٨٥٩/٢.

(٢) أمالي الطوسي: ص ٨٤، ح ٣٣.

(٣) أعيان الشيعة: ٣٥/٢.

بالمعيار، إمّا راجع بعلم - وقال مرةً بعقل - أو ناقص بجهل»^(١).

وعنه: قال عليّ عليه السلام لأبي ذرّ رضي الله عنه: «إنّما غضبت لله عزّ وجلّ، فارح من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفّتهم على دينك، والله لو كانت السماوات والأرضون رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجاً، لا يؤنسك إلّا الحق، ولا يوحشك إلّا الباطل»^(٢).

وعنه، عن عليّ عليه السلام أنّه قال لقيس بن سعد وقد قدم عليه من مصر: «يا قيس إنّ للمحن غايات لا بد أن ينتهي إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها، فإنّ مكايدها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها»^(٣).

وريث النهج

وراثته علوية تأخذ بآفاق الحكمة إلى مديات واسعة؛ لتفعل الخير تجسيداً لواقع مقروء، بل معاين ومشاهد، يجسّده الإمام ليلقيه شذرات من درر أقواله في صياغة نهج جده العلوي؛ ليعيد إلى الذاكرة تلك البلاغة التي ما فتئت ترتفع من القرآن وتغفو على عتبات الحديث النبوي والحكمة العلوية، و«محمد» هذا هو الإمام، هو إمام الكلام، لا يدانيه أحد في عصره كما كان آباؤه عليه السلام من قبل، وقد ألقى في مجالسه هذه الشذرات التي ما قرأتها إلّا وتخيّلت أنّي أقرأ في نهج البلاغة، وهو دليل الوراثة النبوية والسلالة العلوية المباركة. وبهذا فسنقرأ العطاء الثرّ الذي خلقه محمد الجواد لأمة جدّه، بل للإنسانية جمعاء.

(١) اعيان الشيعة: ٣٥/٢، كشف الغمة: ٨٥٩/٢.

(٢) اعيان الشيعة: ٣٥/٢، كشف الغمة: ٨٥٩/٢.

(٣) اعيان الشيعة: ٣٥/٢، كشف الغمة: ٨٥٩/٢.

وروي عنه عليه السلام قال: «من وثق بالله أراه السرور، ومن توكل عليه كفاه الأمور، والثقة بالله حصن لا يتحصن فيه إلا مؤمن أمين، والتوكل على الله نجاة من كل سوء، وحرز من كل عدو، والدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدهاء تصرف البلية، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومن عاب عيب، ومن شتم أجنب، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المني»^(١).

وقال عليه السلام: «أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة، والغنى، والعلم، والتوفيق»^(٢).

وقال عليه السلام: «إن الله عباداً يخصهم بالنعم، ويقرّها فيهم ما بذلوا، فإذا منعوها نزاعها عنهم وحولها إلى غيرهم»^(٣).

وقال عليه السلام: «ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت عليه مؤنة الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرّض النعمة للزوال»^(٤).

وقال عليه السلام: «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره»^(٥).

وقال عليه السلام: «من أمل إنساناً فقد هابه، ومن جهل شيئاً عابه، والفرصة خلصة، ومن

(١) كشف الغمة: ٨٦٠/٢، اعيان الشيعة: ٣٥/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٢/٢.

(٢) كشف الغمة: ٨٦٠/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٣/٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) كشف الغمة: ٨٦٠/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٣/٢.

(٥) المصدر السابق.

كثر همّه سئم جسده، والمؤمن لا يشتفي غيظه، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه»^(١).

وقال في موضع آخر: «عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه»^(٢).

وقال ﷺ: «من استغنى بالله افتقر الناس إليه، ومن اتقى الله أحبّه الناس وإن كرهوا»^(٣).

وقال ﷺ: «عليكم بطلب العلم فإنّ طلبه فريضة، والبحث عنه نافلة، وهو صلة بين الإخوان، ودليل على المروءة، وتحفة في المجالس، وصاحب في السفر، وأنس في الغربة»^(٤).

وقال ﷺ: «العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوعاً، ومن عرف الحكمة لم يصبر على الازدياد منها، الجمال في اللسان، والكمال في العقل»^(٥).

وقال ﷺ: «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والعدل زينة الإيمان، والسكينة زينة العبادة، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الحلم، والإيثار زينة الزهد، وبذل المجهود زينة النفس، وكثرة البكاء زينة الخوف، والتقلّل زينة القناعة، وترك المنّ زينة المعروف، والخشوع زينة

(١) المصدر السابق.

(٢) كشف الغمة: ٢/ ٨٦٠، الفصول المهمة: ٢/ ١٠٥٤.

(٣) كشف الغمة: ٢/ ٨٦٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

الصلاة، وترك ما لا يعنى زينة الورع»^(١).

وقال عليه السلام: «حسب المرء من كمال المروءة، وتركه ما لا يحمل به، ومن حياته أن لا يلقي أحداً بما يكره، ومن عقله حسن رفقته، ومن أدبه أن لا يترك ما لا بدّ له منه، ومن عرفانه علمه بزمانه، ومن ورعه غصّ بصره وعقّة بطنه، ومن حسن خلقه كفّه أذاه، ومن سخائه برّه بمن يحب حقه عليه، وإخراجه حق الله من ماله، ومن إسلامه تركه ما لا يعنيه، وتجنّبه الجidal والمراء في دينه، ومن كرمه إثارة على نفسه، ومن صبره قلة شكواه، ومن عقله إنصافه من نفسه، ومن حلمه تركه الغضب عند مخالفته، ومن إنصافه قبوله الحق إذا بان له، ومن نصحه نهيه عمّا لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه جوارك تركه توبيخك عن إساءتك مع علمه بعيوبك، ومن رفقته ترك عذلك عند غضبك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبتك لك إسقاطه عنك مؤنة أذاك، ومن صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن صلاحه شدة خوفه من ذنوبه، ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن حكمته علمه بنفسه، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بإصلاح عيوبه»^(٢).

وقال عليه السلام: «لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه»^(٣).

وقال عليه السلام: «الفضائل أربعة أجناس: أحدها: الحكمة، وقوامها في الفكرة. والثاني: العفة، وقوامها في الشهوة. والثالث: القوة، وقوامها في الغضب. والرابع: العدل،

(١) كشف الغمة: ٨٦١/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٤/٢.

(٢) كشف الغمة: ٨٦١/٢، الفصول المهمة: ج ٢، ص ١٠٥٤، نزهة الناظر و تنبيه الخاطر:

ص ٤٤، ح ٩، طبع قم، والدليمي في اعلام الخاطر: ص ١٢٧.

(٣) كشف الغمة: ٨٦١/٢.

وقوامه في اعتدال قوى النفس»^(١).

وقال عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء»^(٢).

وقال عليه السلام: «يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم»^(٣).

وقال عليه السلام: «أقصد العلماء للمحنة المسك عند الشبهة، والجدل يورث الرياء، ومن أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل، والطامع في وثاق الذل، ومن أحب البقاء فليعد للبلاء قلباً صبوراً»^(٤).

وقال عليه السلام: «العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم»^(٥).

وقال عليه السلام: «الصبر عند المصيبة مصيبة الشامت بها»^(٦).

وقال عليه السلام: «التوبة على أربع دعايم: ندم القلب، واستغفار باللسان، وعمل بالجوارح، وعزم أن لا يعود»^(٧).

وقال عليه السلام: «ثلاث من عمل الأبرار: إقامة الفرائض، واجتناب المحارم، واحتباس من الغفلة في الدين»^(٨).

وقال عليه السلام: «ثلاث يبلغن العبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، وخفض الجانب، وكثرة الصدقة»^(٩).

(١) كشف الغمة: ٨٦٢/٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) كشف الغمة: ٨٦٢/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٥/٢.

(٤) كشف الغمة: ٨٦٢/٢.

(٥) كشف الغمة: ٨٦٢/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٥/٢.

(٦) المصدر السابق.

(٧) كشف الغمة: ٨٦٢/٢.

(٨) المصدر السابق.

(٩) كشف الغمة: ٨٦٢/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٥/٢.

وقال عليه السلام: «أربع من كُنَّ فيه استكمل الإيمان: من أعطى الله، ومنع في الله، وأحبَّ الله، وأبغض فيه»^(١).

وقال عليه السلام: «ثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكل عند العزم على الله عزَّ وجلَّ»^(٢).

وقال عليه السلام: «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»^(٣).

وقال عليه السلام: «مقتل الرجل بين لحية، والرأي مع الأناة، وبئس الظهير الرأي الفطير»^(٤).

وقال عليه السلام: «ثلاث خصال تجتلب بهنَّ المحبة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء والرجوع إلى قلب سليم»^(٥).

وقال عليه السلام: «فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء، والخلق أشكال، فكلُّ يعمل على شاكلته، والناس أخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله فإنها تحوز عداوة؛ وذلك لقوله تعالى «الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ»^(٦)»^(٧).

وقال عليه السلام: «من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه»^(٨).

(١) كشف الغمة: ٢/ ٨٦٢.

(٢) كشف الغمة: ٢/ ٨٦٢، الفصول المهمة: ٢/ ١٠٥٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) سورة الزخرف، آية ٦٧.

(٧) كشف الغمة: ٢/ ٨٦٣، الفصول المهمة: ٢/ ١٠٥٦.

(٨) المصدر السابق.

وقال ﷺ: «كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك»^(١).

وقال ﷺ: «لا يفسدك الظنّ على صديق وقد أصلحك اليقين له، ومن وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومن وعظه علانيةً فقد شانه، استصلاح الأخيار بإكرامهم، والأشرار بتأديبهم، والمودة قرابة مستفادة، وكفى بالأجل حرزاً، ولا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى ثمانية عشر سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه، وما أنعم الله عزّ وجلّ على عبدٍ نعمةً فعلم أنّها من الله إلاّ كتب الله جلّ اسمه له شكرها قبل أن يحمدہ عليها، ولا أذنب ذنباً فعلم أنّ الله مطّلع عليه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له إلاّ غفر الله له قبل أن يستغفره»^(٢).

وقال ﷺ: «الشريف كل الشريف من شرفه علمه، والسؤدد حقّ السؤدد لمن اتقى الله ربّه، والكریم من أكرم عن ذلّ النار وجهه»^(٣).

وقال ﷺ: «من أمّل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان»^(٤).

وقال ﷺ: «موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعمر»^(٥).

وقال ﷺ: «لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولنّ عليكم الأمّد فتفسوا قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم»^(٦).

(١) المصدر السابق.

(٢) كشف الغمة: ٨٦٣/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٦/٢.

(٣) كشف الغمة: ٨٦٣/٢.

(٤) كشف الغمة: ٨٦٣/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٧/٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) كشف الغمة: ٨٦٣/٢، الفصول المهمة: ١٠٥٦/٢.

قال الإربلي أبو الحسن علي بن عيسى: هذا ما أردت نقله من كتاب الجنابذي عليه السلام، وقد نقل أشياء رقيقة وفوائد فايدة وآداباً نافعة، وفقرراً ناصعة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام مما رواه الإمام محمد الجواد بن الإمام علي بن موسى الرضا عن آبائه عليه السلام.

وروى الشيخ الصدوق، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني عليه السلام أنه قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، حدثني بحديث عن آبائك عليه السلام.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي عن آبائه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استوتوا هلكوا».

قال: قلت له: زدني يا ابن رسول الله، فقال: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لو تكاشفتهم ما تدافنتهم».

قال: قلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعواهم بطلاقة الوجه وحسن اللقاء، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعواهم بأخلاقكم».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من عتب على الزمان طالت معتبته».

قال: قلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قيمة

كل امرئ ما يحسنه».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

المرء مخبوء تحت لسانه».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما

هلك امرؤ عرف قدره».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

التدبير قبل العمل يؤمنك الندم».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام: من وثق بالزمان صرع».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

خاطر بنفسه من استغنى برأيه».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قلّة العيال أحد اليسارين».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من دخله العُجْبُ هلك».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال عليه السلام: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من أيقن بالخلف جاد بالعطية».

قال: فقلت له: زدني يا ابن رسول الله.

فقال: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من رضي بالعافية ممّن دونه رزق السلامة ممّن فوقه».

قال: فقلت له: حسبي^(١).

وروي عنه قوله عليه السلام: «الثقة بالله تعالى ثمن لكلّ غالٍ، وسلّم إلى كلّ عالٍ»^(٢).

وقوله عليه السلام: «عزّ المؤمن من غناه عن الناس»^(٣).

وقال عليه السلام: «لا تكن وليّ الله في العلانية، عدوّاً له في السرّ»^(٤).

(١) منتهى الآمال ٥٥٥/٢ - ٥٥٨ عن عيون الأخبار ٥٣/٢، ح ٢٠٤.

(٢) اعلام الدين: ص ٣٠٩، البحار: ٣٦٤/٧٥، ضمن ح ٥.

(٣) اعلام الدين: ص ٣٠٩، عنه البحار: ٣٦٥/٧٥، ح ٥، اعلام الهداية، ص ٢٠٤.

(٤) المصدر السابق.

وقال ﷺ: «من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة»^(١).

وقوله ﷺ: «كيف يضيع من الله كافله؟ وكيف ينجو من الله طالبه؟ ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه، ومن عمل على غير علم ما، أفسد أكثر مما يصلح»^(٢).

وقال ﷺ: «إياك ومصاحبة الشرير فإنه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره»^(٣).

وقال ﷺ: «كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة»^(٤).

وقال له ﷺ رجل: أوصني.

قال ﷺ: «وتقبل؟».

قال: نعم.

قال ﷺ: «توسّد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوى، واعلم أنك لن تخلو من عين الله، فانظر كيف تكون؟»^(٥).

وقال ﷺ: «المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه»^(٦).

وقال ﷺ: «لا تعادي أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى، فإن كان محسناً

(١) ثواب الاعمال: ص ١٨٣، ح ١، البحار: ٢٧٦/٧١، ح ٥، وسائل الشيعة: ٢٣٢/١٢، ح ١، أمالي المفيد: ص ٣١٦، ح ٨.

(٢) أعلام الدين: ص ٣٠٩، البحار: ٣٦٤/٧٥، ضمن ح ٥، أعلام الهداية: ص ٢٣٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البحار: ٣٦٤/٧٥، ح ٤، عن الدرة الباهرة، أعلام الهداية: ص ٢٤٠.

(٥) تحف العقول: ص ٤٥٥، عنه البحار: ٣٥٨/٧٥، ح ١، أعلام الهداية: ص ٢٣٨.

(٦) تحف العقول: ص ٤٥٧، عنه البحار: ٣٥٨/٧٥، ح ١، أعلام الهداية: ص ٢٣٨.

فإنه لا يسلمه إليك، وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيك فلا تُعاده»^(١).
 وقال عليه السلام: «القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من اتباع الجوارح بالأعمال»^(٢).
 وعنه عليه السلام قال: «من أطاع هواه أعطى عدوه منه»^(٣).

الدعاء المعارض، التراتيل، المعارضة

لم يزل أئمة أهل البيت عليه السلام يعانون من مشكلة التضيق بل والمطاردة لطروحاتهم، ولم يزل يعاني أصحابهم من الملاحقة وحبس الأنفاس، وإحصاء تحركاتهم التي تعدّها الأنظمة بأنّها المعارضة الأشدّ عُنفاً في التأثير والنتائج... إلّا أنّ ذلك لا يمنع من ممارسة أنشطتهم وبثّ روح العلم والمثابرة من أجل الوصول إلى الحقائق.. وإذا حُظِر على الحديث ومعارفه فإنّ الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام لم تتوقف جهوده المعرفية، فقد صاغها على شكل أدعية تتعهد في تقديم أطروحة أهل البيت عليه السلام من خلال تراتيل تنبعث في جوف الليل، أو تُلقى في جموع المحتشدين من الناس، أو يأنس بها الإنسان عند عزله، أو يتوسّل بها المحزون عند وحشته، أو تنفث إلى حشاشته الحرّى عند تعسّر حاجته..

هكذا هي أدعية أهل البيت عليه السلام، وهذه هي تراتيل الصحيفة السجادية، إلّا أنّها لم تكن مجردة عن هدف معرفي يسعى الأئمة إلى تعزيز مفاهيمه وإيداع معارفه في ضمير الأئمة، ومعنى هذا فإنّ الدعاء سيُحال فضلاً عن كونه عبادةً يتبتّل بها ذوو الحاجات، إلّا أنّه خطاب ثقافي فكري يطرّحه أئمة أهل البيت عليه السلام بعيداً عن

(١) اعلام الدين: ص ٣٠٩، عنه البحار: ٣٦٥/٧٥، ضمن ح ٥، اعلام الهداية: ص ٢٤١.

(٢) البحار: ٣٦٤/٧٥، ضمن ح ٤، عن الدرة الباهرة، اعلام الهداية: ص ٢٤٠.

(٣) اعلام الدين: ص ٣٠٩، عنه البحار: ٣٦٤/٧٥، ضمن ح ٥، اعلام الهداية: ص ٢٣٩.

توجّسات الدولة ومطاردة النظام، وبهذا فقد حفظ أهل البيت عليهم السلام - بالرغم من الظرف السياسي العنيف الذي طاردهم - مفاهيمهم المحظورة ضمن أدعية وتوسّلات، فضلاً عن تنبيهات الأئمة عمّا يحيطها من مخاطر تعمل على إيقاظها، والنظام في هذه الحالة غير قادر على منع هذه الأطروحات التي تُصاغ على شكل أدعية، ولم يشملها الحظر كما يشمل التعاطي بحديث أحد الأئمة، والتي تعدّه الدولة ترويجاً لأطروحاته وتبليغاً لشخصه.

والإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام لم يكن بعيداً عن هذه الحالة من الطرح والتبليغ، فقد أعدّ أدعيته لتعطي رؤية في توجّهات الإمام ومفاهيم رسالته، وفي بعض نماذج أدعيته نقرأ بعض هذه الأطروحات التي صاغها الإمام في صحيفته.. فمن ذلك ما صاغه من الدعاء وبيان مظلوميته عليه السلام وما يعاينه من المضايقة، ومناشدة أتباعه في الوقوف عليها، وهي وثيقة تتناقلها الأجيال ليقروا فيها محنة أهل البيت عليهم السلام ومظلوميّتهم ومعاناتهم:

«مَنَائِحُكَ مُتَتَابِعَةٌ، وَأَيَادِيكَ مُتَوَالِيَةٌ، وَنَعْمُكَ سَابِغَةٌ، وَشُكْرُنَا قَصِيرٌ، وَحَمْدُنَا يَسِيرٌ، وَأَنْتَ بِالْتَعَطُّفِ عَلَى مَنْ اعْتَرَفَ جَدِيرٌ.

اللهمّ وقد غصّ أهل الحقّ بالرقيق، وارْتَبَكَ أهل الصدق في المضيق، وأنت اللهمّ- بعبادك وذوي الرغبة إليك شفيق، وبإجابة دعائهم وتعجيل الفرج عنهم حقيق.

اللهمّ فصلْ على محمّدٍ وآل محمّد، وبادرنا منك بالعون الذي لا خذلان بعده، والنصر الذي لا باطل يتكأّده، وأتجّ لنا من لدنك متاحاً فيّاحاً، يأمن فيه وليك، ويخيب فيه عدوك، وتقام فيه معالمك، وتظهر فيه أوامرك وتنكشف فيه عوادي

أعدائك^(١).

اللهم بادرنّا منك بدار الرحمة، وبادر أعداءك من بأسك بدار النعمة.

اللهم أعنّا، وأغننا، وارفع نقمتك عنّا، وأجلّها بالقوم الظالمين^(٢).

وفي دعائه بعد أن يُظهر نَعَمَ الله على عباده ورحمته وفضله، فإنه عليه السلام يطرح معارضته للأنظمة الجائرة ضمن دعائه، ويبيّن ما ارتكبتها هذه الأنظمة من جرائم وخروقات وتعديّات على حقوق أصحاب الحق، وهم الأئمة عليهم السلام وكيف أنهم أبعدوا عن حقوقهم وممارستها...

«اللهم أنت الأول بلا أولية معدودة، والآخرة بلا أخرية محدودة، أنشأتنا لا لعلّة اقتساراً، واخترعتنا لا لحاجة اقتداراً، وابتدعتنا بحكمتك اختياراً، وبلوتنا بأمرك ونهيك اختباراً، وأيدتتنا بالآلات، ومنحتنا بالأدوات، وكلّفتنا الطاقة، وجشمتنا الطاعة، فأمرت تخييراً، ونهيت تحذيراً، وخوّلت كثيراً، وسألت يسيراً، فعُصي أمرك فحلمت، وجُهل قدرك فتكزّمت، فأنت ربّ العزّة والبهاء، والعظمة والكبرياء، والإحسان والنعماء، والمنّ والآلاء، والمنح والعطاء، والإنجاز والوفاء.

ولا تحيط القلوب لك بكنّه، ولا تدرك الأوهام لك صفة، ولا يُشبهك شيء من خلقك، ولا يمثّل بك شيء من صنعتك.

تباركت أن تُحسّ أو تُمس، أو تُدرك الحواسّ الخمس، وأنّى يدرك مخلوق خالقه؟ تعاليت - يا إلهي - عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

(١) في المصدر: «وتنكفّ فيه عوادي عِدَاتِكَ».

(٢) مهج الدعوات لابن طاووس: ٨٠، طبع مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٤ هـ ق.

اللَّهُمَّ أَيْلٌ^(١) لأوليائك من أعدائك الظالمين، الباغين الناكثين القاسطين انمارقين، الذين أضلّوا عبادك، وحرّفوا كتابك، وبدّلوا أحكامك، وجدّدوا حقلك، وجلسوا مجالس أوليائك، جرأةً منهم عليك، وظلماً منهم لأهل بيت نبيك عليهم سلامك وصلواتك ورحمتك وبركاتك، فضلّوا وأضلّوا خلقك، وهتكوا حجاب سترك عن عبادك، واتخذوا -اللهم- مالك دُولاً، وعبادك حَوْلًا^(٢)، وتركوا اللهمّ عالم أرضك في بكاء عمياء ظلّماء مدلهمة، فأعينهم مفتوحة، وقلوبهم عميئة، ولم تبق لهم اللهمّ عليك من حجة. لقد حرّرت اللهمّ عذابك، وبَيّنت نكالك، ووعدت المطيعين إحسانك، وقَدّمت إليهم بالنذر، فأمنت طائفة.

فأيّد اللهمّ الذين آمنوا على عدوك وعدوّ أوليائك، فأصبحوا ظاهرين، وإلى الحق داعين، وللإمام المنتظر القائم بالقسط تابعين. وجدّد اللهمّ على عدوك وأعدائهم نارك وعذابك، الذي لا تدفعه عن القوم الظالمين.

اللَّهُمَّ صلّ على محمد وآل محمد، وقوّ ضعف المخلصين لك بالمحبة، المشايعين لنا بالموالاة، المتبعين لنا بالتصديق والعمل، المؤازرين لنا بالمواساة فينا، المحيين ذكرنا عند اجتماعهم، وشدّ ركنهم، وسدّد لهم اللهمّ دينهم الذي ارتضيته لهم، وأتمم عليهم نعمتك، وخلّصهم واستخلصهم. وسدّد اللهمّ فقرهم، والمم اللهمّ شعث فاقتهم، واغفر اللهمّ ذنوبهم وخطاياهم، ولا تُزغ قلوبهم بعد إذ هديتهم، ولا تُخلّهم أي ربّ بمعصيتهم، واحفظ لهم ما

(١) الإدالة: الغلبة.

(٢) الحَوْل: واحدة خائل، وهم العبيد والإماء وغيرهم من الحاشية، وخَوَّل الرجل: حَشَمه، والحَوْل: ما أعطى الله سبحانه وتعالى للإنسان من النِّعم. لسان العرب ٤: ٢٥٠ (مادة خول).

منحتهم به من الطهارة بولاية أوليائكم، والبراءة من أعدائكم، إنك سميع مجيب،
وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين»^(١).

هكذا كان الإمام الجواد عليه السلام كآبائه الطاهرين من قبل، يُصدر معارفه إلى الأمة عن طريق الدعاء، وهي قنوات آمنة تضمن وصول رؤى الأئمة إلى الناس بعيداً عن توجّسات النظام ومراقبته لتحركاتهم عليه السلام، وبذلك فقد نجحت انسيابية المعرفة إلى أعماق المجتمع بطريقة لم يكن للنظام أن يمنعها، فهي تراتيل القديس في أعماق المحن وأغوار النوائب.

«محمد»... الإمام.. القديس... ذلك المعجز

ولم يقف القوم عند «محمد» الحكيم عند هذا الحدّ من عبقات بلاغته الموروثة من آبائه حتى يُتوجّ عطاءه بالمعجزة الشاهدة على صدق دعواه، أو بالكرامة المؤيدة لمقامه الإلهي...

إنّه «محمد» الإمام.. الحجّة.. القديس الذي يبعث الأمل في نفوس أتباعه، بل في نفوس الكثير حينما ينقطع عنهم حديث القرب إلى الله، وحينما يُحال الزمان إلى خواطر مغامرات القتل والحيل، أو مدّعيات القداسة المزيّفة، أو تنهاوى القيم من أجل كسب قضية يرعاها البلاط ويتدافع عليها فقهاؤه، أولئك المتسوّلون على أبوابه، أو المقتنصون رضا الخليفة، أو المزدحمون على عطاء القصر الملوكي في زحمة الفتاوى التي يطلقها الفقهاء إرضاءً لنزوات أسيادهم، أو شهوات الوزراء المدجّجين بمدى التحايل وخطط المؤامرات، تلتبس على الأمة مصاديق

(١) حياة أولي النّهى: ٢٢٧، عن مهج الدعوات: ٨٠ - ٨٢.

القداسة، وتختلط عليها حقائق الصدق من تسويلات الدجل، فينفرج الأمر عن «محمد» المعجز، ذلك الإمام الذي جرت على يده الكرامات، وتدرجت من تحت قدميه مدّعات بني العباس الذي أوهمو الناس بأحقّية الخلافة دون غيرهم، وتنازع أسلافهم مع أهل الحق، فاحتلبوا شطرها ملأ القعب دماً عبيطاً، كما أشار إلى ذلك عليّ عليه السلام في تقويمه لتهالك القوم عليها.

وهكذا ينتزع «محمد» الإمام شرعية الخلافة وأحقّية السيادة بما أثبتته من أنّه هو القديس المعجز...، فضلاً عمّا أثبتته لأولئك المنكرين لإمامته، أو المشكّكين في انتسابه لآبائه الطاهرين.. فأجرى الله على يده كرامات الإمامة ومعجزات الحجة، وكم هي وطيدة الانتساب لكرامات الآباء الميامين يوم كان الأتباع يتناولون بأمانيتهم أن يريهم الله كراماته في أوليائه، تجري أمامهم وتحدث براهينها كلّما أحوجتهم المحاجة أو الدليل لإثبات أحقّية ما يعتقدونه في أهل البيت فيفيضون ما أفاض الله عليهم من هذه الكرامة، أو تلك المعجزة، أو ذلك البرهان الذي لا يفتأ في إثبات الحق لأهله..

ومحمد بن علي الجواد عليه السلام من أهل هذه المعجزات المنتسبة لآل الله الميامين.. ولربّما يجد البحث طريقه في الكمّ الهائل من كرامات الجواد ومعجزات إمامته؛ لما تقتضيه ظروف الإثبات والانتساب، فكان محمد عليه السلام سخيّاً على الملأ من الناس؛ ليفيض بما أفاض الله عليه من الحق والدلالة على النهج القويم. وسنحاول الخوض في عباب هذه الملاحم الجوادية من الكرامة والمعجز والدليل، وما جرى له - صلوات الله عليه - مع أصحابه ومع غيرهم ممّن توقّفوا في القول بإمامته والبخوع بأحقّيته. وممّا يجدر التنويه إليه أنّ الإمام كان كثيراً ما يقف على ضمائر

الناس وما في نفوسهم بفراسة تزيل الشك، وتقتلع الشبهة، وتهدي إلى الصراط المستقيم.

الإمامة وصغر السنّ

علي بن إسماعيل، عن محمد بن عمر، عن علي بن أسباط، قال: رأيت أبا جعفر عليه السلام قد خرج عليّ، فأحدت النظر إليه وإلى رأسه وإلى رجله لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فخرّ ساجداً وقال: إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ في النبوة، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١)، وقال الله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾^(٢) ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾^(٣) فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتى وهو ابن أربعين سنة^(٤).

وراثه عيسوية

عن أحمد بن محمد الحضرمي، قال: حج أبو جعفر عليه السلام، فلما نزل زباله فإذا هو بامرأة ضعيفة تبكي على بقرة مطروحة على قارعة الطريق، فسألها عن علة بكائها؟ فقامت المرأة إلى أبي جعفر عليه السلام وقالت: يا ابن رسول الله، إنّني امرأة ضعيفة لا أقدر على شيء، وكانت هذه البقرة كلّ ما أملكه، فقال لها أبو جعفر عليه السلام: «إن

(١) مريم: ١٢.

(٢) يوسف: ٢٢.

(٣) الإحqاف: ١٥.

(٤) بصائر الدرجات: ص ٢٥٨، ح ١٠، عنه البحار: ١٠٠/٢٥، ح ١، و ٣٧/٥٠، ح ١، الكافي:

٣٧٤/١، ح ٧.

أحياء الله تبارك وتعالى لكِ فما تفعلين؟» فقالت: يا ابن رسول الله، لأجددَنَّ الله شكراً.

فصلَّى أبو جعفر ركعتين ودعا بدعوات، ثم ركض برجله البقرة فقامت البقرة، وصاحت المرأة: عيسى بن مريم، فقال أبو جعفر عليه السلام: «لا تقولي هذا، بل عباد مكرمون، أوصياء الأنبياء»^(١).

وقد حرص أبو جعفر -صلوات الله عليه- أن يؤكد للمرأة إنما يكون إحياء البقرة راجعاً لله تعالى، ونحن عباد مكرمون، وحاول الإمام عليه السلام أن يؤكد أنَّهم أوصياء أنبياء؛ لئلا يتوهم السامع شيئاً وراء ذلك يُساء فهمه، وهم أوصياء الأنبياء بمعنى ورثتهم، وإلا فهم أعظم مقاماً من الأنبياء؛ لأنَّهم ورثة خاتم الأنبياء.

شهادة الزور

روي عن ابن أروبه أنَّه قال: إنَّ المعتصم دعا جماعة من وزرائه فقال: اشهدوا لي على محمد بن علي بن موسى زوراً واكتبوا أنَّه أراد أن يخرج، ثم دعاه فقال: إنَّك أردت أن تخرج عليّ.

فقال عليه السلام: «والله ما فعلت شيئاً من ذلك».

قال: إنَّ فلاناً وفلاناً شهدوا عليك، فأحضروا فقالوا: نعم، هذه الكتب أخذناها من بعض غلمانك!

قال: وكان جالساً في بهوٍ، فرفع أبو جعفر عليه السلام يده وقال: «اللهم إن كانوا كذبوا عليّ فخذهم».

قال: فنظرنا إلى ذلك البهو كيف يرجف ويذهب ويجيء، وكلما قام واحد وقع! فقال المعتصم: يا ابن رسول الله، إني تائب مما قلت، فادع ربك أن يسكنه! فقال عليه السلام: «اللهم سكّنه، إنك تعلم أنهم أعداؤك وأعدائي» فسكن^(١).

نعم... عندي سلاح رسول الله

روى بكر بن صالح، عن محمد بن فضيل الصيرفي، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام كتاباً، وفي آخره: هل عندك سلاح رسول الله ﷺ؟ ونسيت أن أبعث بالكتاب، فكتب إليّ بحوائج، وفي آخر كتابه «عندي سلاح رسول الله ﷺ، وهو فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل يدور معنا حيث درنا، وهو مع كل إمام»^(٢).

المدارة خير من المكاشفة

أحمد بن الوليد، عن أبيه، عن الصفار، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن بكر بن صالح، قال: كتب صهر لي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام: أن أبي ناصب خبيث الرأي، وقد لقيت منه شدةً وجهداً، فأريك - جعلت فداك - في الدعاء لي، وما ترى جعلت فداك، أفترى أن أكاشفه أم أداريه؟

فكتب عليه السلام: «قد فهمت كتابك وما ذكرت من أمر أبيك، ولست أدع الدعاء لك إن شاء الله، والمدارة خير لك من المكاشفة، ومع العسر يسراً، فاصبر إن العاقبة للمتقين، ثبتك الله على ولاية من توليت، ونحن وأنتم في ودعة الله التي لا تضيع ودائعها».

(١) الخرائج والجرائح: ٦٧٠/٢، ح ١٨، عنه البحار: ٤٥/٥٠، ح ١٨.

(٢) الخرائج والجرائح: ٣٨٧/١، ح ١٦، عنه البحار: ٥٣/٥٠، ح ٢٧، العوالم: ٨٧/٢٣، ح ١٢.

قال بكر: فعطف الله بقلب أبيه حتى صار لا يخالفه في شيء^(١).

إحباط مخططات النظام

محمد بن الرِّيان قال: احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكل حيلة، فلم يمكنه في شيء، فلما اعتلّ وأراد أن يبني عليه ابنته دفع إليّ مائة وصيفة من أجمل ما يكنّ، إلى كل واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر يستقبلون أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأختان، فلم يلتفت إليهنّ.

وكان رجل يقال له: مخارق صاحب صوت وعود وضرب، طويل اللحية، فدعاه المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام فشقق مخارق شهقةً اجتمع إليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغني، فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر عليه السلام لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً، ثم رفع رأسه إليه.

وقال عليه السلام: «أتق الله يا ذا العثنون!».

قال: فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيده إلى أن مات.

قال: فسأله المأمون عن حاله؟ قال: لمّا صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً^(٢).

وكانّ احتياله لإدخاله فيما فيه من اللهو والفسوق. وبنى على أهله بناءً زفها. والعُثنون: اللحية، أو ما فضل منها بعد العارضين، أو ما نبت على الذقن وتحت

(١) أمالي المفيد: ص ١٩١، ح ٢٠، عنه مستدرك الوسائل: ١٥/١٧٨، ح ١، البحار: ٧٩/٧١، ح ٧٩، و ٥٠/٥٥، ح ٣٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٢٧، عنه البحار: ٥٠/٦١، ح ٣٧.

سفلاً، أو هو طولها. والعُتُون أيضاً: شعيرات تحت حنك البعير (١).

ولا يهتّمنا سرد معجزاته، فهي أكثر من أن تحصى، وقد أعرضت عن تعدادها لعلمي أنها لا يستوعبها مختصر استطرد فيه بعض سيرته، فأثرت العدول عن سردها لكثرتها، ووجدتُ أنه عليه السلام قد اختصّ بكثرة المعاجز وتعداد الكرامات، ويبدو أنّ متطلّبات عصره التشكيكي بإمامته المبكرة اقتضت إظهار كراماته بهذا الكمّ الهائل، تأكيداً للحجّة، وإتماماً للبيئة التي يتطلّبها مقام إمامته الذي كثر التساؤل عن إمكانيته وهو لا يزال ابن العاشرة أو دونها، ممّا حدا ببعض أن يتوقف إن لم يتساءل، أو يتساءل إن لم يشكّك، أو يشكّك إن لم يعارض، وهكذا تضطرب مفاهيم الناس بإمامته عليه السلام، وتعتور الأذواق بإمكانية أدائه لمهمّة آبائه الذين تصدّوا للإمامة في سنّ اعتاد عليه الناس، وألفته العامة، واستأنس في أهليته الجميع.

ولم يكن محمد بن علي الجواد عليه السلام ذلك الإمام الثماني من العمر قد اختلف فيه الجميع، بل قبله من عرفه، وأثنى عليه من خالطه، وأكبره من سمع منه، وآمن به من جالسه، واعتقد فيه من شاهده، ولكأنّي أجد سرد الفضائل فضولاً من القول، فخشيت الإطالة وآثرت الإيجاز، وتوسّلت بمآثر الثناء، وتقاريض المدح، والإمام أرفع من أن يُعرف قدره بمدح المادحين، وإطراء الحامدين له، إلّا أنّ ذلك من مجريات البحث ومطايوي الكلام، وعزمت استعراض بعض ما حضرني من كلمات الثناء وجمل التقرّيص.

روى الشيخ المفيد بسنده عن الريان بن شبيب ما نقله عن المأمون: وأما أبو

جعفر محمد بن علي عليه السلام قد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أنّ الرأي ما رأيته فيه.

فقال بنو العباس: إنّ هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه، فأمله ليتأدّب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم: ويحكم! إنّّي أعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ هذا من أهل بيت علمهم من الله، ومواده وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتنحوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به بما وصفت من حاله.... (١).

وفي وصيته لابنته: يا بنية، احتمليه فإنّه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

وما نقله الطبرسي عن موقف المأمون من الإمام بقوله: وكان المأمون مشغولاً بأبي جعفر عليه السلام لما رأى من فضله مع صغر سنّه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل.. وكان متوقفاً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره (٣).

وعن ابن الصباغ المالكي: قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: مناقب أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام ما اتسعت جلبات مجالها، ولا امتدّت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقاءه في الدنيا بحكمها وسجالها، فقلّ في الدنيا مقامه، وعجلّ عليه فيها حِمَامه. فلم تطل ليايله ولا امتدّت أيامه، غير أنّ الله خصّه بمنقبة أنوارها متألقة في مطالع التعظيم، وأخبارها مرتفعة في معارج التفضيل

(١) الإرشاد ٢: ٢٨٢.

(٢) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام ١: ٣٦٢.

(٣) نفس المصدر.

والتكريم^(١).

وقال الشبلنجي: وإن كان (الجواد عليه السلام) صغير السنّ، فهو كبير القدر، رفيع الذكر، ومناقبه عليه السلام كثيرة^(٢).

وما نقله ابن شهر آشوب، عن الأسقف الذي رأى الإمام عليه السلام، فقال: يوشك أن يكون هذا الرجل نبياً أو من ذرية نبي^(٣).

هذه شهادة من شاهد «محمدًا» وعرف مكارمه، وسمع مناقبه، فألجأ الإعجاب إلى التقريض فيه، وأذنه الإكبار للثناء عليه، ودعاه الإكرام إلى التبجيل والتعظيم، وهو بعد ذلك لحمة رسول الله وبضعته ووريثه، فيتصاغر عند ذلك كل ثناء وذكر كبير.

النهاية المؤسفة.. وفتوى فقهاء الإرهاب...

ومن المؤسف أن تصل التنافسات بين فقهاء البلاط للوصول إلى حظوة القرب من الخليفة العباسي بأن تُحاك ضد الإمام المؤامرات لتصفيته بعد أن رأوا أنه عليه السلام قد اكتسح وجودهم المهزوم، بعدما اعتقد الخليفة بأعلميته وأنه حاز من العمل ما لم يكن أحد منهم قد حازه وحباه الله به واجتباؤه، وكان العمل قائماً على التنافس بين علماء البلاط لإثبات أيهم أصلح وأوفق لخدمة السلطان، وإذا ما هدّد وجوده مقامهم العلمي - في نظر السلطان - وأخّرهم عن رتبة التقدم فإنهم يسعون لاتخاذ أي إجراء يضمن إبقاءهم على هيبتهم، أمّا إذا كسرت هيبة هؤلاء المتدافعين على

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٦٦.

(٢) نور الأبصار: ٣٢٦.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٣٨٤.

مكانتهم لدى البلاط فإنهم لا يتأخرون عن التآمر والانتقام من أجل الإبقاء على مكانتهم، وبما أن الإمام الجواد عليه السلام يبقى منافس فقهاء البلاط فإن هؤلاء لم يجدوا بعده عليه السلام هذا غير تأخرهم عن رتبته الرسمية، فهم إذن بعد ذلك لابد أن يستعيدوا مقامهم المفقود من أعلمية «محمد بن الرضا» والمنافس لهم في مندياتهم العلمية، فيدبروا التآمر عليه وتصفيته، والانتقام لكرامتهم المفقودة في أروقة البلاط، والمناظرة التالية تتيح - في نظر هؤلاء - أن يتفوقوا على تصفية الإمام الجواد عليه السلام وقتله:

روى العياشي في تفسيره بإسناده عن زرقان صاحب ابن أبي داود قال: رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك، فقال: وددت اليوم أنني قدّمت منذ عشرين سنة، قلت له: ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود^(١) أبي جعفر محمد بن علي بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين.

قال: قلت له: وكيف كان ذلك؟

قال: إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمد بن علي.

فسألنا عن القطع في أيّ موضعٍ يجب أن يُقطع؟

قال: فقلت: من الكرسوع.

قال: ما الحجة في ذلك؟

قال: قلت: لأنّ اليد هي الأصابع، والكفّ إلى الكرسوع لقول الله في التيمم

(١) هكذا يلقبون الإمام الجواد عليه السلام لشدة سمرته؛ تنكيلاً به وحقداً عليه.

﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١)، واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأن الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(٢) في الغسل دلّ ذلك أنّ حدّ

اليده هو المرفق.

قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

فقال عليه السلام: «قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين».

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه.

فقال عليه السلام: «أما إذا أقسمت عليّ بالله، إنّي أقول: إنهم أخطؤوا فيه السنّة، فإنّ القطع

يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ».

قال: وما الحجة في ذلك؟

قال: «قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين

والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرّسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها، وقد قال

الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(٣)، يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها،

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٤)، وما كان لله لن يقطع».

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون

الكفّ.

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) الجن: ١٨.

(٤) الجن: ١٨.

قال ابن أبي داود: قامت قيامتي وتميّت أني لم أكن.

قال ابن أبي زرقان: إنّ ابن أبي داود قال: صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة، فقلت: إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة، وأنا أكلّمه بما أعلم أنّي أدخل به النار. قال: وما هو؟

قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزرائه وكتّابه، وقد تسمع الناس بذلك من وراء باب، ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الأُمّة بإمامته، ويدعوه أنّه أولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء.

قال: فتغير لونه وانتبه لما تَبَّهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً.

قال: فأمر اليوم الرابع فلاناً من كتّاب وزرائه بأن يدعوه إلى منزله، فدعاه، فأبى أن يجيبه، وقال: قد علمت أنّي لا أحضر مجالسكم.

فقال: إنّني أدعوك إلى الطعام وأحب أن تطأ بابي^(١) وتدخل منزلي فأتبرك بذلك، فقد أحب فلان بن فلان من وزراء الخليفة لقاءك.

فصار إليه، فلمّا طعم منها (أي من الطعام) أحسّ السُّمّ، فدعا بداّبته، فسأله ربّ المنزل أن يقيم.

قال: خروجي من دارك خير لك.

فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفه^(٢) حتى قبض^(٣).

(١) وفي رواية: تطأ ثيابي.

(٢) الخلفة: الإسهال.

(٣) مدينة المعاجز: ٥٣٥ - ٥٣٦ عن كتاب حياة أولي النهى: ٢١١ - ٢١٣.

هذه هي مؤامرات النظام العباسي وفقهائه، فهم بعد أن دعوه وعزموا عليه الإجابة غاضهم تقدمه على جميع فقهاء البلاط، وعلموا أن ذلك سيكون سبباً في تفاقم أمره عند المسلمين، واعترفهم بأن شطر هذه الأمة تقول بإمامته وهذا دليل على أن الأمة تنصاع للإمام عليه السلام معتقدةً بإمامته وأهليته للخلافة دون بني العباس، ومجرد احتمال الجهاز العباسي من تأثير الإمام في الأمة، واحتمالية أن تكون مجريات الأمور لصالح الإمام فإن الخليفة العباسي لم يمهله حتى أمر بتصفيته فوراً؛ دون أدنى انتظار وحساب لأي العواقب المترتبة على هذا التصرف الطائش. وبالرغم من كون الإمام الجواد يمثل الخطّ المنافس لخطّ فقهاء البلاط فإن المعتصم حسم الفتوى لصالح قول الإمام عليه السلام، وكأنّ المعتصم لم يرتضِ أقوال هؤلاء الجمع من فقهاء الدولة؛ لِمَا يستبين الرشد برأي الإمام عليه السلام، فالإمام من بيت زُقوا العلم زقاً، واجتباهاهم الله بأسرارٍ خصّهم بها وحباهم.

الخطاب الأدبي الشيعي في خضمّ تداعيات الصراع العباسي

لم يقف جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول في حدود النضال السياسي الذي التزمه أتباع أهل البيت عليه السلام، بل تعدّى إلى المقاومة الثقافية والفكرية. فالعباسيون بالرغم من انتسابهم إلى شعار «الرضا من آل محمد» من أجل تسويق حركتهم لدى العامة، إلّا أنّهم تحرّكوا باتجاه المعارضة الفكرية للمذهب العلوي الذي يتزعمه آل البيت عليه السلام، وجعلوه منافسهم الوحيد الذي يحسب له حسابه، وبالرغم من الاعتناء بالمنحى الأدبي لهذا العصر ومباراة شعرائه في مديح الخلفاء العباسيين، إلّا أنّ حالة حذرٍ شديدٍ أصابت الجهد الأدبي الشيعي إبان تلك

الفترة الحرجة.

فالعباسيون يرون أنّ منافسيهم من العلويين أوفر حظاً لدى الأمّة، وهم يحاولون إثبات خلافتهم بما يتيح لهم قطع الطريق على آل علي وشيعتهم من المطالبة بأحقّية الخلافة، ويعملون على نشر ثقافة الانتساب التي من شأنها أن تنقل العباسيين من أتباع إلى متبوعين، بمعنى أنّ دعوى الانتساب لأهل البيت قد أخذت مسارها في الثقافة العباسية، واستمكنت هذه الثقافة من الخطاب العباسي الذي برمجّه أبو جعفر المنصور، وقدمه على أنّه الفلسفة الفكرية والخطاب الرسمي للدولة العباسية القائمة على التنافس للعلويين، لذا كانت سمة الخطاب العباسي يؤطرّه المنصور ومَنْ عقبه «بأننا أهل البيت»، أملاً في أن تكون ثقافة الانتساب هذه قد أخذت محلّها من قلوب العامّة، إلّا أنّ ذلك لم يؤثر أثره في قناعة المسلمين، فالانتساب الحقيقي لأهل البيت ﷺ غير الانتساب السياسي لهم، والمسلمون كانوا يتعاطون مع هذا الخطاب بأنّه الخطاب السياسي الذي لا يقوى على الصمود أمام التحدّيات الحقيقية للانتساب الواقعي لآل البيت ﷺ..

إلّا أنّ هذا الخطاب لم يقف على مستوى التسويق السياسي بقدر ما هو سياسة تصفية الخصوم والمنافسين، فالعلويون الأوفر حظاً في التطلّعات التي تحملها العامّة حيال قضية الخلافة وكونهم الأجدر في الأهلية لهذا المنصب الإلهي، نجد أنّ العباسيين على مستوى التأييد العام تتراجع شعبيتهم بعد ما اكتشفوا سياسة التنكيل والقتل التي استخدمها المنصور قبالة الوجود العلوي، الذي كان سبباً في إنجاح عملية الثورة والانقلاب على الحكم الأموي، على أمل أن يكون للعلويين خطوة الحكم ومسؤولية الدولة الجديدة، أو على أقلّ تقدير سيكون هناك متنفس

من شأنه أن يعطي للعلويين حرية التحرك الطبيعي ضمن النظام العام، في حين يجد المسلمون أن العلويين صاروا الأكثر اضطهاداً وتنكيلاً إبان خلافة العباسيين، وحسابات العامة لم توفق في ظل العنف العباسي ضد أبناء عمومتهم العلويين حينما ظنوا بأن العباسيين مؤهلين لرفع الحيف عن آل علي واسترداد حقوقهم وإعادة اعتبارهم المسلوب.

وتتفاقم أزمة التنافس السياسي بين العباسيين وبين معارضيه من آل علي، حتى يصل الأمر إلى مصادرة الحقائق التاريخية؛ وذلك من خلال ما بذلته الدولة العباسية من دعاوى استحقاق الخلافة وعدم مصداقية الوراثة لآل علي، وجعلت إعلامها موجهاً بحملته في أدبياتها العامة من أن الاستحقاق لخلافة النبي ﷺ هي لبني العباس دون آل علي، وأن دعاوى العلويين في الخلافة غير ثابتة، ويمكن ردّها بما يتسنى شعراء البلاط من تقديم الخطاب السياسي على أساس شعري يتغنى به في محافلهم الرسمية.

ففي بدايات العصر العباسي يشتدّ الصراع حول فلسفة الخلافة، ويشعر العباسيون أن العلويين يهدّدون وجودهم بالشرعية التي يمتاز بها آل علي في أحقية الخلافة، ولم يجد العباسيون من أسلوب رادع لأطروحات العلويين غير الأسلوب الاستباقي في محاولة تزوير الحقائق ومصادرة تلك المبادئ التي تعارف عليها المسلمون من كون الخليفة الشرعي بعد رسول الله ﷺ هو علي بن أبي طالب، في حين يُعدّ بنو العباس في مرتبة متأخرة من استحقاق الخلافة، وهم اليوم يتصدّون لذلك ويجعلون أنفسهم الأحق والأولى بخلافة رسول الله ﷺ دون غيرهم، وهي محاولات تحتاج إلى جهد استثنائي في تغيير مسارات المفاهيم

العامّة للخلافة الإسلامية، لذا فإنّ الجهد الأدبي كان المتقدم في مخاض هذا التثقيف العكسي الذي يتزعمه أدباء البلاط، ولعلّ نموذج هذا العنف الفكري في فرض أطروحة الدولة يتزعمه مروان بن أبي حفصة، الذي كانت قصيدته بمثابة الخطاب الرسمي المتشدّد الذي فرض رؤى العباسيين في الخلافة بقوله:

أنتى يكون وليس ذاك بكائين لبني البنات وراثَةُ الأعمام؟
فكان ذلك الطرح مؤثراً على المستوى العام في المفهوم الثقافي التأسيسي لأطروحة الخلافة، ممّا دعا شعراء الشيعة وهم في أوج الدفاع عن عقيدتهم وحقوق أئمتهم أن يتصدّوا لهذا الطرح والادّعاء؛ لذا فإنّ جعفر بن عفّان الطائي الشاعر الكوفي المعاصر للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) - المتوفّى سنة ١٥٠هـ - انتفض بقصيدته المعروفة للردّ على تخرّصات ابن أبي حفصة، فقال:

لِمَ لا يكون وإنّ ذاك لكائن لبني البنات وراثَةُ الأعمام؟
للبنات نصفٌ كاملٌ من ماله والعلم متروكٌ بغيرِ سهام
ما للطلق وللترات وإنّما صلّى الطليق مخافة الصمصام^(١)
ولعلّ ما قاله مروان ابن أبي حفصة قد أخذ مأخذه حتى بعد عقود، فكان أئمة آل البيت (عليهم السلام) يزعمهم هذا التهور في قلب الحقائق، والسعي من أجل تغيير مسارات المفهوم الإسلامي في الخلافة، فالإمام الرضا يستذكر هذه الحادثة فيقول بعد أن دخل عليه جماعة فرأوه متغيّراً، فسألوه عن ذلك؟ قال:
بِتُّ ليلتي ساهراً متفكراً في قول مروان بن أبي حفصة، وذكر البيت المتقدم قال:
ثم نمت فإذا أنا بقاتل قد أخذ بعضادة الباب وهو يقول:

(١) أدب الطفّ ١: ١٩٣، عن الأغاني ٩: ٤٥.

أنى يكون وليس ذاك بكائن
لبنى البنات نصيبهم من جدّهم
ما للطلق وللتراث وإنّما
قد كان أخبرك القران بفضل
إنّ ابنَ فاطمة المنوّه باسمه
وبقى ابن نثلة واقفاً متردّداً
للمشركين دعائم الإسلام
والعمّ متروك بغير سهام
سجد الطليق ومخافة الصمصام
فمضى القضاء به من الثكّام
حاز الوراثة عن بني الأعمام
يبكي ويسعده ذوو الأرحام^(١)

ولم تكن دعوى العباسية بالاستحقاق الوراثي حديثة عهد في زمن الإمام الصادق عليه السلام أي إبان بدايات العهد العباسي، بل أوعز أحد المحقّقين -وهو صاحب كتاب أدب الطفّ- إلى أنّ المعنى هذا لم يكن من ابتكار مروان ابن أبي حفصة، بل هو قد تسرّب إليه من أحد موالى تمام بن معبد بن العباس بن عبدالمطلب، حيث كان يخاطب به الإمام الحسن بن علي عليه السلام، فيقول له:

جحدت بني العباس حقّ أبهم

فما كنت في الدعوى كريم العواقب

متى كان أولاد البنات كوارثٍ

يحوز ويدعى والدأ في المناسب^(٢)

وهو يعني أنّ هذا الخطاب العباسي كان مبكّراً جداً، أي بعيد شهادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وفي خلافة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، بالرغم من أنّ تقارباً في وجهات النظر بين العباسيين وبين آل علي -عدا ما ارتكبه عبيدالله بن العباس من

(١) أدب الطفّ ١: ١٩٤.

(٢) راجع أدب الطفّ ١: ١٩٤ ولعل ذلك تفرّد به المحقق السيد جواد شبر في إرجاع مروان بن أبي حفصة بسرقة إلى مولى تمام.

خيانتته المعروفة مع الإمام الحسن عليه السلام - كان موجوداً، أي أنّ نزعة الخلاف على وراثة النبي وخلافته مبكّرة جداً تحظى بنزعة عباسية مبيّنة؛ أخذت متنفسها إبان العهد العباسي، وعند اشتداد التنافس بين البيتين. وفي القرن الثالث الهجري - وهو أوج التنافس العلوي العباسي - تشتدّ لهجة محاولات تفيد الاستحقاق الوراثي لخلافة النبي صلى الله عليه وآله من قبل الخطاب الرسمي العباسي، والذي يمثّله بأعنف صوره الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز، الذي أنشد قصيدته المعروفة التي ينكر من خلالها استحقاق آل البيت وراثة النبي، وأنهم هم الأقرب في هذا الاستحقاق، فقال في بعض قصيدته:

ألا من لعيني وتسكاياها	تشكي القذا وبكاها بها
ترامت بنا حادثات المنو	ن ترامي القسيّ بنشأها
ويا ربّ ألسنة كالسيو	ف تقطع أرقاب أصحابها

ويقول فيها:

ونحن ورثنا ثياب النبي	فكم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته	ولكن بنو العمّ أولى بها

ومنها:

قتلنا أُميّةً في دارها	فنحن أحقّ بأسلابها
إذا ما دَنَوْتُمْ تَلَقَّيْتُمْ	زَبُوناً أَقَرَّتْ بِجَلَّابِها

وهو يحاول أن يجرّد العلويين من حقوقهم في الخلافة، ويفتخر في الثورة على الأمويين، وبذلك فهم - على حدّ تعبيره - أحقّ بالاستيلاء على الخلافة بعد الأمويين.

وقد تحدثنا في بداية البحث بأن إسقاط الدولة الأموية هي مبادرة علوية وفكرة اختص بها أبو هاشم محمد بن الحنفية، وتكلمنا عن ذلك بإسهاب. ومحاولة عبدالله بن المعتز في تحويل الخلافة بحسب دعواه من آل علي إلى آل العباس دعوى خطيرة؛ إذ نتحدث عن الخطاب الرسمي العباسي الذي التزمه هذا الشاعر الخليفة.

ويبدو أن الردود على هذه الدعوى كانت كثيرة، إلا أنها مكتمة لم تر النور، ولم تستطع البوح والانتشار إلا بعد أربعة قرون حين تصدّى الشاعر صفى الدين الحلي (٦٧٧ - ٧٥٢هـ) من الردّ على دعوى ابن المعتز ليجاري قصيدته بقصيدة طويلة يقول فيها:

ألا قُلْ لشرِّ عبيد الإله	وطاغي قريشٍ وكذّابها
وباغي العباد وباغي العنا	د وهاجي الكرام ومغتتابها
أأنت تـفاخر آل النبي	فتجدها فضل أحسابها؟!
بكم باهل المصطفى أم بهم	فردّ العداة بأوصابها
أعنكم نفى الرّجس أم عنهم	لظهر النفوس وألبابها
أم اللهو والخمر من دأبكم	وفرط التلاوة من دابها؟
وقلت: ورثنا ثياب النبي	فكم تجذبون بأهدابها؟
وعندك لا يورث الأنبياء	فكيف حضيتم بأثوابها؟!
فكذّبت نفسك في الحاليتين	ولم تنه نفسك عن عابها
أجدُّك يرضى بما قلته	وما كان يوماً بمرتابها
وكان بصفيّين من حزبه	لحرب الطغاة وأحزابها؟!

إلى أن يقول:

وحيدر في صدر محرابها	وصلّى مع الناس طول الحياة
إذا كان إذ ذاك أحرى بها	فهلاً تقمّمها جدّكم
فهل كان من بعض أربابها؟	وإذ جعل الأمر شورى لهم
وقد جليت بين خطّابها؟	أخامسهم كان أم سادساً
ولكن بنو العمّ أولى بها	وقولك أنتم بنو بنته
وذلك أدنى لأنسابها	بنو البنت أيضاً بنو عمّه
ف فلست ذلولاً لركابها	فدع في الخلافة ذكر الخلا
وما قمّصوك بأثوابها	وما أنت والفحص عن شأنها؟
فما كنت أهلاً لأسبابها	وما ساورتك سوى ساعة
ولم تتأدّب بآدابها؟!	وكيف يخصّوك يوماً بها
أسود أمية في غيابها	وقلت بأنكم القاتلون
ولم تنه نفسك عن عابها	كذبت وأسرفت فيما ادّعت
فردّت على نكص أعقابها	فكم حوالتها سراة لكم
لعزّت على جهد طلائها	ولولا سيوف أبي مسلم
رعى فيكم قرب أنسابها	وذلك عبد لهم لا لكم
وقد شفّكم لثم أعتابها	وكنتم أسارى ببطن الحبوس
وقمّصكم فصل جلبابها	أفأخرجكم وحاكم بها
لطغوى النفوس وإعجابها	فجازيتموه بشرّ الجزاء
وجاؤوا الخلافة من بابها	فدع ذكر قوم رضوا بالكفاف

هم الزاهدون هم العابدون	هم الساجدون بمحرابها
هم الصائمون هم القائمون	هم العالمون بآدابها
هم قطب ملة دين الإله	ودور الرchy حول أقطابها
عليك بلهوك بالغانيات	وخلّ المعالي لأصحابها
فذلك شأنك لا شأنهم	وجري الجياد بأحسابها ^(١)

إنّ هذه القصيدة من القصائد المهمة التي أوضحت التطرف في الخطاب الرسمي العباسي، الذي حاول إحالة مسألة الخلافة إلى قضية سياسية تنافسية يراد من خلالها إقصاء المنافسين لهم؛ وذلك في محاولة إزواء العلويين عن حقوقهم في الخلافة.

كانت قصيدة صفي الدين الحلّي تمثّل الخطاب العقائدي للأمة الإسلامية، والذي من خلاله يحاكم ابن المعتزّ على تطرفه في نفي كثير من الحقائق، وادّعاء ما لا يمكن أن يصمد أمام أدنى مراجعة تاريخية.

فصفي الدين الحلّي يحتاج ابن المعتزّ بمواقف جدّه العباس بن عبد المطلب الذي، رفض أن يكون طرفاً في الخلافة مع وجود الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بل سعى العباس أن يدعم موقف ابن أخيه علي بعرض المبايعة عليه، وسيكون العباس قد أكد خلافة علي عليه السلام كونه شاهداً قوياً في استحقاق علي للخلافة بوصية من رسول الله ﷺ إلا أنّ رفض عليّ لهذا العرض كان محسوباً له حسابه وهذه الطريقة من المبايعة السرية بل والأسرية مرفوضة في مفهوم علي عليه السلام، فهو كما أعلن النبي ﷺ عن خلافته في غدير خمّ أمام الملأ من المسلمين؛ فإنّ تجديد

يبعثه في الأحداث الساخنة من انعقاد السقيفة وتربّص الآخرين لمنصب الخلافة أبعد علياً أن يخوض مع الخائضين في إثبات حقه بالخلافة، وأرادها اختيارية بإرادة الجميع أو الأكثر على الأقل، دون أن تتدخل الإرادات الشخصية في قضية تفوّق السعي الأسري أو التنافس القبائلي، وهكذا نجح عليّ عليه السلام في عدم الانجرار بهذه التسابقات الخاسرة، وأبقى قضية الخلافة فوق كل الاعتبارات، وكونها قضية إلهية بوصية السماء.

ثم يحتج الحلّي بالقرب النسبي الذي جعله ابن المعتزّ حجة له، وأثبت أن آل عليّ عليهم السلام هم الأقرب نسباً وحسباً، فهم أولاد بنت وأبناء عمومة، فلا يعدّون الأبعد نسبة لأبناء عمومته عليهم السلام.

ومن الطريف أن صفّي الدين الحلّي يذكر ابن المعتزّ بأنّه ليس أهلاً في المحاجة بالخلافة، فهو أضعف من أن يكون مطالباً بها وهو لم يستلمها سوى ساعة، إشارة إلى قصة خلافته التي دامت يوماً واحداً فقط، وهي أقصر مدة لخليفة عباسي يستلم الخلافة بعد المقتدر الذي ثار عليه الأتراك ونصبوا مكانه ابن المعتزّ الملقب بالمرتضى بالله، ثم أرجع الأتراك المقتدر في اليوم الثاني وألقي القبض على ابن المعتزّ وأودع في السجن، ثم قُتل صبراً، وبذلك فإنّ صفّي الحلّي يلغي عن ابن المعتزّ إمكانية الاستحقاق لمنصب الخلافة فضلاً عن إمكانية الدفاع عن بني أبيه في استحقاقهم للخلافة دون آل عليّ عليهم السلام.

والقصيدة كذلك تُبعد إمكانية العباسيين عن استلام الخلافة لولا جهود أبي مسلم الخراساني، الذي قدّم لهم إمكانياته في الوصول إلى الخلافة بسبب ما كان يعتقده أبو مسلم من قرب العباسيين لآل عليّ عليهم السلام، فهو رعاية لحق العلويين - كما

عليه أكثر المؤرخين مع تحفظنا على هذا الاتجاه، وليس هنا محل ذكره - عمل أبو مسلم على إيصال العباسيين إلى هذه الخلافة، ثم هم لم يكافئوه إلا بالقتل والتنكيل، وكأنَّ الغدر كان لهم شيمة وعادة، والظاهر أنَّ الحلِّي لم يُرد بذلك الدفاع عن أبي مسلم بقدر ما أراد إدانة العباسيين في كون تصفية الخصوم بل وحتى الحلفاء لأدنى خلاف.

تلك هي سياسة عباسية متأصلة لا يمكن الغضُّ عنها ضمن معطيات تعاملهم مع الخصوم السياسيين والعقائديين، وآل علي يمثلون كِلا التوجّهين في المخاصمة العقائدية والمنافسة السياسية مع العباسيين، فحال أبي مسلم الخراساني الحليف القوي مع العباسيين - والذي كان سبباً رئيساً في وصولهم إلى الحكم - مصيره القتل لمجرد الشك في ولائه وانحراف توجّهاته عنهم، فكيف بحال آل عليٍّ الأكثر تأثيراً على العباسيين في منافساتهم ومعارضتهم لهم؟!

وجهد آخر يستحقّ الوقوف لديه، وهو ما قدّمه العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام - حفيد العباس بن علي شهيد كربلاء - من محاولة أدبية موفّقة يستعرض فيها صلاحية العلويين، وأنهم هم مفخرة قريش، فإذا كانت لقريش مفخرة في انتساب العلويين لهم، وهو خطاب يستبطن المعارضة العنيفة للجهد العباسي الذي تزعمه أدباء البلاط في غضون عصر الرشيد العباسي الذي كان يحسب لهذا الأديب الهاشمي حسابه، وبذلك فسيكون شعره في هذا الخصوص خطاباً رسمياً علوياً يوقف محاولات العباسيين في المفخرة ودعوى استحقاق الخلافة، فيقول:

وقالت قريش لنا مفخر رفيع على الناس لا ينكر

فقد صدقوا لهم فضلهم وبينهم رتب تقصر
وأدناهم رحماً بالنبى إذا فخرُوا فيه المِفخر
بنا الفخر منكم على غيركم فأما علينا فلا تفخروا
ففضل النبي عليكم لنا أقرّوا به بعدما أنكروا
فإن طرئتم بسوى مجدنا فإن جناحكم الأقصر^(١)

وهي أبيات يظهر فيها أحقية العلويين وتقدّمهم على غيرهم، وأنّ كل فخر وحسب ونسب فهو دونهم.

إذن فالخطاب الأدبي الشيعي إبان العهد العباسي الأول كان في صدد الدفاع عن مبادئ الخلافة الإسلامية، والحفاظ على المفهوم المقدّس لأساسيات النزاع بين فريقَي المخاصمة العقائدية، والتي أُحيلت إلى نزاع سياسي يأخذ مديات المواجهة والتصدي في بعض صوره، والأطروحة الثقافية والفكرية في صوره الأخرى.

فعرض سريع لجهود الأدباء الشيعة إبان الإمام الصادق عليه السلام وما بعده يكشف مدى رغبة الأدب الشيعي في العمل على تأصيل أطروحة الفلسفة الإمامية في الخلافة، وأنّ الاستحقاق الحقيقي لهذا المنصب لا يناله إلاّ أهله، وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لذا فقد تعهّد الأدب الشيعي في تلك الفترة إلى تثبيت مبادئ الأهلية والاستحقاق للوصول إلى الخلافة، وليس المدّعيّات السياسية التي تزعمها العباسيون وأتباعهم من شعراء البلاط.

(١) الفصول المختارة للسيد المرتضى: ص ٤١، أدب الطف: ٢٢٧/١، أعيان الشيعة: ٤١١/٧.

الكميت بن زيد مقدمة شعراء التحدي

لم ننسَ ما قدّمه الكميّ بن زيد الأسدي وهو ينافح عن مبدأ العقيدة والدفاع عن حقوق أهل البيت عليه السلام، وتتأثّر أهميّة جهوده الأدبية في كونها تحت رعاية الإمام الباقر عليه السلام إبان احتدام المواجهة الفكرية بين آل البيت وبين الأمويين، الذين حاولوا الإطاحة بمبتنيات الخلافة الحقّة، إذ نجد أنّ الكميّ كان يحظى بعناية الإمام الباقر عليه السلام فيوجّهه ويسدّده حتى في فنيّات شعره.

فقد روى صاعد مولى الكميّ، قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فأنشده الكميّ:

مَنْ لِقَلْبٍ مَتِيّمْ مُسْتَهَامٍ غَيْرَ مَا صَبَوَةٍ وَلَا أَحْلَامٍ؟
 بَلْ هَوَايَ الَّذِي أَجَنَّ وَأَبْدَى لِبَنِي هَاشِمٍ أَجَلَ الْأَنَامِ
 فَأُنْصِتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ:
 أَخْلَصَ اللَّهُ هَوَايَ فَمَا أَغْرَقَ نَزْعاً وَلَا تَطْيِيشَ سَهَامِي
 قَالَ لَهُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَقَدْ أَغْرَقَ نَزْعاً وَلَا تَطْيِيشَ سَهَامِي».

فقال: يا مولاي، أنت أشعر منّي بهذا المعنى^(١)، وعرض عليه مالا فلم يقبل، وقال: والله ما قلت فيكم شيئاً أريد به عرض الدنيا، ولا أقبل عليه عوضاً إذا كان لله ورسوله.

قال عليه السلام: «فلك ما قال رسول الله ﷺ لحسان: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت».

قال: جعلني الله فداك. ثم لم يبقَ من أهل البيت إلّا من حمل إليه شيئاً فلم يقبل

(١) مناقب آل أبي طالب: ٤/٢٤٤، عنه البحار: ٣٣٨/٤٦، ح ٢٧.

منهم^(١). وفي رواية أنّه قال: ولكن تُكرمني بقميص من قمصك، فأعطاه^(٢).
ودخل يوماً على الإمام فأنشده:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم لم يبقَ إلّا شامت أو حاسد
وبقى على ظهر البسيطة واحد فهو المراد وأنت ذاك الواحد

هذه هي علاقة الكميّ بالإمام الباقر عليه السلام، ومعنى ذلك: أنّ الكميّ لا يتصرّف في أدبيّاته الشعرية إلّا بتوجيه من الإمام يومذاك، يوم كان الصراع الفكري مع أهل البيت عليهم السلام على أوجه مع الأمويين؛ وذلك على خلفية واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام.

وكانت هاشميّاته التي كلّفته الكثير من التشرد والترقب من الأمويين تستثير حفيظة الأمويين، حتى دفعت بهشام بن عبد الملك أن يهدر دم الكميّ ويلاحقه في كل مكان، وكانت الهاشميات تحدياً جدياً للأطروحة الأموية، والتي يقول فيها:

ألا حيّيت عنّا يا مدينا وهل ناس تقول مسلمينا
إلى أن يقول:

لنا قمر السماء وكلّ نجم تشير إليه أيدي المهتدينا
وجدت الله إذ أسمى نزاراً وأسكنهم بمكّة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصاتٍ وللناس القفا ولنا الجبين

(١) مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزباني الخراساني: ص ٧٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٢١٤/٤، عنه البحار: ٣٣٣/٤٦، ح ١٦.

السيد الحميري راوية الفضائل

هذه هي جهود الكميت، ولم يكن السيد الحميري بأقلّ جهداً من الكميت، فلربّما قد تضاعف جهد السيد الحميري إبان العهد العباسي أضعاف ما قدّمه الكميت في عهد الأمويين، وتعهد السيد الحميري أن يقدم فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام «المحظورة» وقتذاك؛ نتيجة التنافس العباسي وتحدي نظامه في إلغاء ثقافة الفضائل العلوية عن ذاكرة الأمة، بل محاولة مسخها إلى فضائل عباسية موضوعة يتكفل بوضعها رواة البلاط، فكان السيد الحميري قد صاغ فضائل علي في ملاحم أدبية شعرية يتغنّى بها الناس؛ ليقطع الطريق على الفضائل «العباسية» الموضوعة، والتي تعهدت نشرها فرق إعلام النظام العباسي، حتى أنه لم يستطع العباسيون إيقاف نشر هذه الفضائل ومنع التعاطي بها بعد أن نشرها السيد الحميري على ألسنة الناس وتناقلها رواة الشعر ونقاد الأدب.

فهو ابتداءً يبرّر موقفه هذا من شعر التحدي في مديح أهل البيت عليه السلام والدفاع عن نهجهم بقوله:

فيا ربّ إنّي لم أرد بالذي به

مدحت علياً غير وجهك فارحم^(١)

وله أيضاً:

وإذا الرجال توسّلوا بوسيلة فوسيلتي حبي لآل محمد^(٢)

فهو إذن ينطلق من عقيدته الراسخة في الدفاع عن مبتنيات مذهب أهل

البيت عليه السلام.

(١) ديوان السيد الحميري: ص ١٨٨.

(٢) ديوان السيد الحميري: ص ٨٩.

ولربما كان السيد الحميري يوثق مروياته الأدبية في فضائل علي عليه السلام من محدثي أهل السنة ورواتهم الموثقين لبرورها شعراً، فكان يكتب الفضائل عن سليمان بن محراث الكوفي (ت ١٤٨هـ)، ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً، وهو إشارة إلى جهود السيد الحميري في توثيق فضائل آل البيت عليهم السلام في شعره، ومن مصادرها المقبولة لدى «أطراف النزاع»، وهو سليمان بن مهران الكوفي الذي قبل روايته أهل السنة والشيعه، سواء ممّا عدّ بعضهم أنّ شعر السيد الحميري شعراً توثيقاً لفضائل عليّ فضلاً عن كونه متحدّياً للنظام العباسي آنذاك.

رواة فضائل آخرين

وكان لسفيان بن مصعب العبدى الكوفي موقف في نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، إذ كان يروي هذه المناقب عن الإمام الصادق عليه السلام ليصيغها شعراً، فيقول في بعض مقطوعاته:

آل النبي محمد	أهل الفضائل والمناقب
المرشدون من العمى	والمنقذون من اللواذب
الصادقون الناطقون	السابقون إلى الرغائب

إلى قوله:

فهم الصراط فمستقيم	فوقه ناجٍ وناكب
صديقة خلقت لصديقٍ	شريفٍ في المناسب
أسماهما قرنا على	سطرٍ بظلّ العرش راتب

كان الإله وليّها وأمينه جبريل خاطب
 والمهر خُمسُ الأرض موهبة تعالت في المواهب
 ونهاها من حمل طوبى طيّبت تلك المناهب^(١)
 وللمفجّع البصري وصف رائع لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكونه أشبه بالأنبياء في صفاته:

أيّها اللائمي لحبيّ عليّاً
 قم ذميماً إلى الجحيم خزيّاً
 أبخير الأنعام عرضت لازل
 ت مذوداً عن الهدى مزويّاً؟
 أشبه الأنبياء كهلاً وزولاً
 وفطيماً وراضعاً وغديّاً
 كان في علمه كآدم إذ علم
 شرح الأسماء والمكنيّات
 وكنوح نجا من الهلك من
 سير في الفلك إذ علا الجوديّاً
 وله من أبيه ذي الأيدي
 إسماعيل شبه ما كان عني خفيّاً^(٢)
 إلى آخر قصيدته، والذي يريد به قوله: أنّ من كان شبيهاً بالأنبياء فهو الأحقّ

(١) الغدير: ٤٢٩/٢، أعيان الشيعة: ٢٧٠/٧.

(٢) أعيان الشيعة: ١٧٢/١، الغدير: ٤٨٣/٣.

بوراثتهم وخلافتهم، وليس غيره من أولئك المدّعين العباسيين.

وأيمن بن خزيم يشير في بعض مقطوعاته بأحقّية أهل البيت عليهم السلام بقوله:

نهاركُم مكابدةٌ وصومٌ وليلُكُم صلاةٌ واقتراءُ

إلى قوله:

أجعلُكُم وأقواماً سواءً وبينكُم وبينهم الهواء

وهم أرض لأرجلكُم وأنتم لأرؤسهم وأعينهم سماء^(١)!

وحالة التفضيل هذه بين أهل البيت عليهم السلام وبين غيرهم من أقوام يرون أنّهم أحقّ

منهم بالخلافة - وهم بنو العباس - لون آخر من ألوان المعارضة الأدبية.

خلاصة القول: والذي نريد قوله: إنّ الصراع العلوي العباسي لم يقف عند حدود

الحركات المسلّحة التي تزعمها علويون ثوريون مثل بعضهم رؤية أئمة أهل

البيت عليهم السلام، ومثل الآخر توجّهاته الخاصة به، إلّا أنّها لم تخرج عن الاعتراض

على ظلم الحاكم وتعسّفه، أي أنّ الصراع أخذ أبعاده الأخرى، وهو البعد الثقافي

والفكري، وارتأى أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يأخذوا بتوجّهات الأدباء وجهودهم

الشعرية؛ لتنحى منحى المعارضة الفكرية، ولتعمل على تطويق خروقات الطرح

العباسي الذي أخذ أبعاداً خطيرة، وهي التصفية الفكرية التي صاحبت التصفية

الجسدية لمعارضتهم من العلويين.

والتغيب الفكري لم يكن بأقلّ خطورةً من التغيب الجسدي الذي مارسه

العباسيون، وعمد أهل البيت عليهم السلام إلى تطويق المدّعات الفكرية التي خاضها

(١) أعيان الشيعة: ٥٢٠/٣، شرح احقاق الحق للسيد المرعشي: ٦٩٧/٩.

العباسيون في ضمن خطابهم السياسي، وعمل الأئمة على تثبيت الأسس ودعائم المفاهيم الإسلامية، وترشيد الرؤى المطروحة التي كادت أن تنقض على ثوابت الأمة، عندها لم يستطع الجهد العباسي إلا أن يقف عاجزاً عن امتداداته في دعاواه بالخلافة ومحاولة حجبها عن أهلها، ولم يكن أهل البيت عليه السلام يسعون في هذا الاتجاه للوصول إلى الحكم بقدر ما كانوا يسعون للحفاظ على المبتنيات والأسس الإسلامية التي تضمن انسيابية الحقائق التاريخية التي سعى العباسيون إلى تغييبها عن ذهن الأمة.

إنّ الجهد الأدبي والفكري أوفق مع معطيات حركة أهل البيت عليه السلام السلمية التي سعت إلى الحفاظ على الحقائق دون تحريفها على يد السلطة العباسية، وتمتين علاقة الأمة مع الحدث التاريخي الواقعي غير المحرّف، ولا ننكر أنّ العصر العباسي عمّق المنهج الأدبي في تعاطيه مع الأحداث بعد أن كان ديدن شعراء البلاط الاسترزاق على قصائد مدح الخلفاء، ومعلوم أنّ القصيدة لا تتجاوز مديح هذا الخليفة أو ذاك، ولا بد من أن يتعرض الشاعر إلى قضية محورية واحدة، وهي استحقاق العباسيين دون غيرهم الخلافة، ولازم ذلك أنّ غيرهم من معارضهم -وهم العلويون- غير جديرين بالخلافة؛ ممّا عزّز هذه الرؤية عند العامة، وكادت أن تلغى عن أذهانهم الحقائق التاريخية التي ورثتها ثقافة صراع العلويين طيلة عقود مع مناوئتهم من الحكّام الأمويين.

من هنا نجد أنّ عصور الأئمة من الباقر حتى الإمام الحجة عليه السلام قد خلت من قصائد الثناء والتقريض لهم من شعراء الشيعة الذين لازمهم، بل لم نجد -عدا بعض المفردات الشعرية وبعضها في عهد الإمام الباقر عليه السلام- قصيدة تشني على هذا

الإمام أو ذاك، بل توجه الجهد الأدبي وبحضورهم إلى الدفاع عن القضية الرئيسية، وهي الإمامة والخلافة الحقّة والتصدّي للمدّعات العباسية، في حين نقرأ في التراث الأدبي الشعري المتأخر ما ينم عن توجهات أدبية في مدح الأئمة عليهم السلام، وهو ما يجيب عن التساؤل التالي: لِمَ لم يذكر الشعراء المعاصرون لأهل البيت عليهم السلام قصائد مدح تخصّهم في حين نجد أن الجهد الأدبي منصباً على تأريخ مقطع واحد، وهو شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وخصائصه وعلاقة ذلك باستحقاق الخلافة ووصاية النبي صلى الله عليه وآله، في حين يندر الجهد الأدبي الشيعي عن مدائح أئمة أهل البيت عليهم السلام بالرغم من اختصاص بعض الشعراء بإمام من أئمة أهل البيت؟

وبهذا فإنّ القول نفسه ينطبق على حياة الإمام الجواد عليه السلام، فإنّك لم تجد من المديح ما يذكر من شعراء عصره عدا ما تجده من قصائد المديح لشعراء محدثين تنطوي على مشاعر خاصة يتأثر بها الشاعر حينما يقف على حياة الإمام الجواد عليه السلام، أو ما يعزّز وجدانياته الخاصة وهو يقرأ من سيرة الإمام ما تجيش به شاعريته وتحفل فيه ملكة الشعر وأحاسيس الولاء.

الإمام الجواد عليه السلام في الأدب العربي

هذه باقة من بعض ما وقفنا عليه من الشعر في مديح الإمام الجواد عليه السلام وراثته، تمثّل تحوُّلاً جديداً في الأدب العربي؛ ليخصّ تأريخ الإمام وحياته، منتزعاً من انطباعات الشاعر وهو يتحدث عن وجدانياته وأحاسيسه عند قراءته لهذا المقطع التاريخي الخطير:

القصيدة الأولى: وهي للعلامة الشيخ محمد علي الأردوبادي الغروي

بأي ثناء أقتفي محكم الذكر
 بمدح بنيك المصطفين أولي الأمر
 وإنني وإن أفنيت فيهم مشاعري
 كمن شبه الطود الممنع بالذرّ
 وإن كان في الآي الكريمة ذكرهم
 فماذا عسى أن يقتني فيهم شعري؟!
 فأيام تشريق بهم كل دهرهم
 وعن ليلهم يحكي السنا ليلة القدر
 وآخر دعوانا أن الحمد كله
 لمن خصّنا بعد الولاية بالشكر
 فلي من علي والحسين وصنوه
 ذخائر تُنجيني لدى موقف الحشر
 وإنّ بـزين العابدين وحبّه
 يهون غداة الموت حشجة الصدر
 ولي من ولاء الصادقين وسيلة
 تطيب بها في برزخي نومة القبر
 وفوزي في الدنيا بموسى بن جعفر
 ويصلح في يوم الحساب به أمري

وأرجو بمولاي الرضا كل خطوة
لديه وأنجو عند مقتبل الضّر
وهذا أبو الهادي سيصبح جنتي
متى أعوزت يوم اللقا جن النصر
له جذم فيه النبوة تزدهي
وأصرة تزدان في طيّب النجر
ونفس أناطت بالقديم حوادثاً
مضت قيد أمر منه أو منتهى زجر
وقدسيّ فيض منه بثّ على الدنا
فآثر في الأكوان طيباً على نشر
وإن قلت في حلم فتهلان دونه
وإن قلت في بأس ففي الجحفل المجر
وإن قلت في عزم يدك رواسي
الجبّال فأرسل بالمهندة البتر
وعن رأيه لوح المقادير نُضّدت
صحائفه حيث القضاء بها يجري
ويستصغر الأطواد باذخ علمه
كما استزّرّ الدهماء بالنائل الغمر
وفي مبدأ الإيجاد أول صادر
له عنّت الأشباح في عالم الذرّ

وقد نيطت الآفاق فيه بأنفسٍ
عليهنّ أضحى موئل النهي والأمر
لئن يمشي في صقع الشهود فمستو
ى القداسة منه شعّ في عالم الأمر
مُواليه في يوم التغابن رابح
كما أنّ من ناواه فيه على خُسر
وأرجو نجاةً منه في يوم فاقتي
كما طاب قبلاً في مودّته نجر
ويا بُعداً أمّ الفضل ممّا أتت به
لمعتصم في فعله بِعُرى الكفر
أحالت صباح الدين أسود فاحماً
دجنّة غيّ من جنوحٍ إلى غدر
أبا جعفر أبكيت شرعة أحمد
وغادرت طرف الدين أدمعه تجري
وأذكيت في الأحشاء جذوة لوعة
عليك فأحنيت الضلوع على جمر^(١)

القصيدة الثانية: وهي للعلامة الشيخ محمد رضا المظفر

حَيِّ قَلْباً تُذِيهِ الحسرات
 إِنَّمَا الموت في التصابي حياة
 كل ما تعرف الورى عن حياة
 النفس في غير حَبِّها منكرات
 أَبْهَذَا الخلي حسب المعنى
 خلصة في الدجى رعتها الوشاة؟
 يننني في طلا الغرام فيصحو
 فيرى السكر ما عليه الصحة
 شتّ نحو الفضاء عيناً على البعد
 وعين الوصال فيه الشتات
 حيث تلك الزلقى وقد هجع الناس
 س ومالت عليهم الغفلات
 حيث دار الهوى بكأس تناجيه
 فحطّمن دونه الكاسات
 حيث ألقى طمر السفساف وارتا
 ح لقدس عنه السماء مرآة
 فاعتلى غبطة يطلّ على الكو
 ن بحيث اطمأنت الحركات

واختلى والخيال بالألف لا
 تلهيه إلا بإلفه السكرات
 إن في ذلك التجلي تخلي
 النفس عما جاذبة الشهوات
 أنا فارقت في هوى الإلف صربي
 وكذا الناس في الهوى أشتات
 إن نفساً تعلقت فيه تكفيها
 ابتهاجاً بذكره اللذات
 وحياتي فيه افتضاحي لتقفوا
 الناس أثري فتكثر الأموات
 أيهذا الخلي حي على الحب
 فهذي المناهل المترعات
 خل في ذلك الفضاء سبيل القلب
 حيث القلوب منتهلات
 أترى القلب يستقيم سبيلاً
 وحنايا الضلوع منحنيات؟
 إنما الماء بالإناء فلا
 تطيع إلا بظرفه الهيئات
 ظلمات هذي الحياة ولا
 مصباح إلا ما أوقدته (الهداة)

عنصر للوجود كَوْنَهُ اللهُ
فَكَانَتْ بِنُورِهِ النُّبُوءَاتُ
مِثْلُ النُّورِ وَالزَّجَاجَةِ وَالْمَصْبَاحِ
أَنْتُمْ وَأَنْتُمْ الْمَشْكَاةُ
أَنْتُمْ النُّورُ لِلْكَلِيمِ عَلَى الطُّورِ
وَأَنْتُمْ لآدَمَ الْكَلِمَاتُ
أَنْتُمْ بَابُ حِطَّةٍ مِنْ أَتَاهِ
كَانَ أَدْنَى مَا يَرْتَجِيهِ النِّجَاةُ
وَكُفِيَ مَفْخَرًا بَغِيرَ وَلَاكُمْ
لَا تَتِمُّ الصَّلَاةُ وَالصَّلَوَاتُ
بِالْإِمَامِ (الْجَوَادِ) مِنْكُمْ تَمَسَّكْتُ
وَحَسْبِي مَنْ قُدَّسَهُ النُّفُوحَاتُ
حَدَّثْتُ قُلْدَ الْإِمَامَةِ فَاثِقَا
دَتَ لَعَلِيَاءَ حَكَمَهُ الْحَادِثَاتُ
ابْنُ سَبْعٍ وَيَا بِنْفَسِي قَدْ
قَامَ إِمَامًا تُجَلَّى بِهِ الْكَرْبَاتُ
إِنَّ هَذَا السِّرَّ الْخَفِيِّ وَمَا
أَجْلَاهُ تُجَلَّى بِنُورِهِ الظُّلُمَاتُ
لَا تَخِلْ وَيَكْ وَهُوَ فِي الْمَهْدِ طِفْلُ
هَذَّبَتْهُ بِدَرَّهَا الْمَرْضَعَاتُ

هو نور من قبل أن تتجلى
 بسنا الحق هذه الكائنات
 جاء للأرض هادياً ونذيراً
 فتنزّلن بالهنا المرسلات
 طاب في شهر طاعة الله مو
 لوداً فنيطت بحبه الطاعات
 إصطفاه الإله للخلق قواً
 ماً فقامت لفضله المعجزات
 عن علاه قاضي القضاة فسّله
 ولكم ضلّت السبيل القضاة
 سلّه لَمّا خانتته نجواه غياً
 كيف دارت بجهلة الدائرات؟!
 زعم الغضّ من معاليه حتى
 فضحته المزاعم الفاسدات
 وعليه المأمون مذمّر سلّه
 أترى من إمّاه كنّ البزاة؟!
 حين جاء البازيّ يحمل من
 حيات بحر أمواجه الزاخرات
 ليبين الحق الصراح وتعلو
 لسنا بيت (أحمد) المكرمات

ليس يلهو وليس يلعب مُذْكَ
 ن ولكن لتظهر الكائنات
 وسَلِ السِّدْرَةَ التي قد حباها
 بطهور فاضت به البركات
 أورقت غبطة فباهت فخاراً
 سدره المنتهى وهذي الهبات
 أثمرت حين أثمرت بالجَنِيِّ العَضْ
 وما فيه كالثمار النواة
 وسَلِ الجعفريّ مذ جاء مغتماً
 له والرقاع مشتهات
 وأبَا سلمة الأصمّ فشافاه
 هنيئاً فهذه الخطوات
 معجزات تفنى النجوم حساباً
 كيف تحصى أنوارها؟! هيهات
 أتراني أسطيع مدح إمام
 نزلت في مديحه الآيات؟!
 إنّ بيتاً له انثنى العرش طوعاً
 قصرت عن ثنائه الأبيات
 يا أبَا جعفر، وما أنت إلّا البحر
 جوداً له الهدى مرساة

أنا عبد قد مسّني الضّرّ وافيتُ
وهذي بضاعتي المُزجاة
أتراني أعود في صفقة الخسر
وأنتم للمستجير الحُماة؟!
صُمْتُ عن حبٍّ ما سواكم لا زُكّوا
وكذا الصوم للأنام زكاة
عَذَّب الله أُمَّةً جَعَجَعَتْ فيكم
مقاماً قامت به الكائنات
قد تَصَابُوا إلى لَظَى غضبٍ
الجبار صُبَّت عليهم اللعنات

القصيدة الثالثة: وهي للعلامة الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي

رضاكَ وكلّ ما أبغى رضاكَ	فما شئتَ افعلي ودّعي جفاكَ
على عيني عتابك إن عتبت	إذا ما كان عتبك عن رضاكَ
معاتبتي على التشبيب فيها	ولم أذكرك لا وعلا هواك
ذكرت من المها جيداً وعيناً	ومن شجر القنا خوط الأراك
فبالله انصفي هل ذاك ذنبي	يعد أذاهما لم يخطئَاكَ
وقيل: من الحبيبة قلت: شمس	فما انصرف الجواب إلى سواكَ
وحيتّني فقلت: أشم مسكاً	فلامت قلت: لومي فيه فاك
فديتك حين ألّقاكَ امهليني	فإنّي سوف يخرسني ارتباكِي

كَأَنَّ الْقَلْبَ بَعْدَكَ فِي ظِلَامٍ
 لَوْ أَنَّ الْقَرْطَ يَجْذِبُهُ جَمَالٍ
 يَطْلُ عَلَى جَنَانٍ مِنْ خُلُودٍ
 وَلَيْسَ الْمَشْطُ فِي مَعْرُوشِ فَرْعٍ
 أَعَاوَضَهُ الْفَضَا لَوْ كُنْتَ طَيْرًا
 مَلَكَتِ عَلَيَّ آفَاقِي جَمِيعًا
 أَفَكَّرَ إِنْ لَقَيْتَكَ فِي فِرَاقٍ
 وَفِي مَدَحِ (الْجَوَادِ) أَبِي (عَلِيٍّ)
 فَيَا بَغْدَادَ نُورَ اللَّهِ هَذَا
 فَقُلْ لِبْنِ الرَّشِيدِ: عِدَاكَ رَشِدٌ
 أَتَسْأَلُ عَنْهُ عَنْ سَمَكٍ وَهَذَا
 وَشِقْشِقَةُ ابْنِ أَكْثَمٍ لَا تَهْجِي
 وَهَذَا لَا يُبْلَاكَ لَدَيْهِ فَكُّ
 وَلَا عَجَبٌ هُوَ اللَّهُ اصْطَفَاهُ
 أُمُّ الْفَضْلِ وَيَكُ بِأَيِّ عَذْرِ
 تَرَكْتَ الدَّارَ مَوْصُودَةً عَلَيْهِ
 فَعَلْتَ وَمَا رَحِمْتَ لَهُ شَبَابًا
 وَكَمْ قَطَعُوا لَهُ رَحِمًا وَقُرْبَى
 وَقَتْلَكَ عَنْ (سَقِيفَتِهِمْ) تَمْشَى
 وَهَبَ سَمَّتَكَ أُمُّ الْفَضْلِ لَكِنْ

فَإِنْ فَاجَأَتْ أَرْمِضُهُ ضِيَاكَ
 إِذَا لَمْ تَشْتَرِيهِ لِاشْتِرَاكَ
 وَيَهْمَسُ مِنْكَ فِي أُذُنِي مَلَاكَ
 بِسَجْنٍ وَالشِّبَاكَ ضَفِيرَتَاكَ
 وَأُغْنِبْنِي بِسَجْنٍ فِي الشِّبَاكَ
 سَوَاءً فِي سَكُونِي أَوْ حَرَكَ
 وَإِنْ فَارَقْتَ أَشْغَلْ فِي لِقَاكَ
 شَغَلْتُ عَنْ اقْتِرَابِكَ أَوْ نَوَاكَ
 وَأَرْضُكَ فِيهِ أَشْرَفُ مِنْ سَمَاكَ
 رَمَيْتَ فَرَدَّ سَهْمَكَ دِرْعَ شَاكِي
 الْخَبِيرُ فَسَلَهُ عَنْ خَلْقِ السَّمَاءِ
 وَرَدَّيْ الْقَهْقَرَاءَ إِلَى وَرَاكَ
 وَلَوْ أَنَّ الْفَضَاءَ يَكُونُ فَاكَ
 وَأَنْتَ الشَّرْكَ خَارَكَ وَاصْطَفَاكَ
 سَتَعْتَزِرِينَ فِي يَوْمِ التَّشَاكِي؟!
 وَمَا فِي الدَّارِ مِنْ أَحَدٍ سِوَاكَ
 فَهَلَّا قَدْ رَحِمْتَ أَنْتَ شَاكِي
 وَهَذَا الْقَطْعُ عَنْ قَطْعِ (الْأَرَاكَ)
 وَقَبْلَكَ قَتَلَ آبَاكَ الزَّوَاكِي
 تَسَبَّبَ كُلُّ ذَلِكَ عَنْ (...)

فأَيِّ مصابكم نبكي عليه
يزيد على مصائبكم (حسين)
عليه قضت أُمية وهو ظام
جنيت عليه تمثيلاً وقتلاً
فُسِّقَتِ إلى دمشق نِسَاءهُ أُسْرَى
لُسُماً أو لِقَتْلٍ وانتهاك
فقد رَضَّتْهُ بِالطَّفِّ (المذاكي)
فلا رَوَى إِلَهُ غَدّاً ظَمَاكَ
وليت بَأَنَّ ذلك قد كفأك
وتلطم كل باكية وباكي

القصيدة الرابعة: في رثاء الإمام عليه السلام للعلامة الشيخ قاسم محيي الدين

بكِتٌ على رسمٍ دُرِسْنَ منازلُهُ
وقفْتُ بها والعين تنشر جفنها
وقد غَالَتِي الدهر الخَوْنُ بفادحٍ
فأصبحت ترتاد الرزايا حَشَاشَتِي
دهتني رزايا قد أَلَمَّتْ بِسَيِّدِ
جواد خَضَمَ الجود أسرار كَفِّهِ
سليل الرضا سبط النبي مُحَمَّدٍ
أبو جعفر مدحي علاه فريضة
فبعداً لِقَوْمٍ لا تراعي عهوده
فكم جَرَّعَتْهُ الهون قسراً فلم يزل
وكم ناضلته عصبه بسهامها
فأصمت حشا الدين القويم وأنها
وما نقموا منه سوى الفضل والعلی
وناحت لفرط الوجد فيه بلبله
سحاباً وقد سَحَّتْ نجيعاً هواطِله
به نسفت أطواد صبري زلازله
ومني نجيع الدمع فاضت جداوله
فضائله مشهودة وفواضله
ولا زال تَهْمِي البرِّ سَحّاً أَنامله
جواد الوری مَنْ لا يُخَيِّبُ سائله
وإن كبرت عن مدح مثلي نوافله
ولم يُرْعَ فيه حقَّ أحمد خاذله
حليف شجون دمه سَحَّ هاطله
عناداً وبغياً لا تزال تناضله
أصابته إماماً قد تعالت فضائله
فظلَّتْ بفرط الجور غدراً تواصله

لنبل كفورٍ غالٍ بالحتفٍ غائله
غداة بعظم المكر قسراً تُخاتله
كُؤوس عداٍ والحتوف مناهله

فأصبح رهناً للرزايا ومرتمى
فما حفظوا في قربه قرب أحمدٍ
إلى أن قضى بالسُّم ظملاً مجرّعاً

القصيدة الخامسة: وله أيضاً

فَلَذِ بِحِمِيٍّ مُحَمَّدٍ الْجَوَادِ
مَغِيثاً لِلوَرَى يَوْمَ التَّنَادِ
سَمَتِ شَأْوُوا عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ
لِنَافِذِ حَكْمِهِ سَلَسَ الْقِيَادِ
بِهَا اعْتَرَفَ الْمَوَالِي وَالْمَعَادِ
وَطَاوَلَ عَرْشَهَا سَامِي الْمَعَادِ
غَدَتِ كَفَّاهُ تَهْمِي كَالْغَوَادِ
فَسَاطَعَ نَوْرُهُ لِلْخَلْقِ هَادِي
شَفِيعَ الْخَلْقِ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ
وَهَلْ فَضْلُ حَكْمِي فَضْلَ الْجَوَادِ
أَرَاعَ حَشَاهُ مِنْ بَاغٍ وَعَادِ
بَنَانَ الْغَيْظِ مِنْ فَرَطِ الْعِنَادِ
عَهْدُكُمْ وَجَدُّوا بِالْفَسَادِ
دِمَائِكُمْ كَمَنْسَكَبِ الْعَهَادِ
تَطَامَنْتُمْ عَلَى شَوْكِ الْقِتَادِ

إِذَا رُمْتَ الشَّفَاعَةَ فِي الْمَعَادِ
شَفِيعاً لِلْأَنَامِ وَخَيْرَ غَوْتِ
بِهِ الْأَمْلاكُ قَدْ شَرَفَتْ وَفِيهِ
إِمَامٌ لَوْ دَعَى الْمَقْدُورَ وَافَى
مُنَاقِبُهُ الثَّوَابِ لَيْسَ تُحْصَى
بِأَخْمَصِهِ رَقَى أَوْجَ الْمَعَالِي
جَوَادٌ مَا دُعِيَ لِلْجُودِ إِلَّا
فَلَا عَجَبٌ إِذَا نَعَشُوا إِلَيْهِ
وَمَنْ غَيْرَ الْجَوَادِ أَبِي عَلِيٍّ
لَهُ فَضْلٌ يَفُوقُ الرِّسْلَ فِيهِ
فِيَا لَهْفِي لَهُ كَمْ مِنْ مَلَمٍّ
وَكَمْ مِنْ عَصَبَةٍ عَضَّتْ عَلَيْهِ
أَلَا بُعْدًا لِقَوْمٍ لَمْ يَرَاعُوا
فَكَمْ سَامُوهُمْ حَرْبًا فَسَالَتْ
عَتُوا عَنْ أَمْرِكُمْ وَبَغَوْا إِلَى أَنْ

سعيداً عشت في زمن يسير
قضيت بسم أم الفضل غدراً
قضيت بظلم من ظلموك صبراً
بكاك الدين مذ قوّضت حزناً
وفقدك قد أثار جوى لؤي
وأشجى قلب خير الرسل حزناً
وأذكى في حشا الهادي علي
وغادر فاطم الزهراء ثكلاً
وأبكى المجتبى حسناً وأقذى
وأبكى خير مقتولٍ صريع

أجل، ومضيت محمود الأيادي
ولم تحفظ لكم حقّ الوداد
وجرعك العدا أصاب النكاد
عليك قد اكتسى ثوب الحداد
وغادرها محالفة السهاد
ومنه الدمع منهلّ الغواد
لظي الأحزان وارية الزناد
مجلّة يرزتك في السواد
مصابك مذ دهى عين الرشاد
بكته الأرض مع سبع شداد

القصيدة السادسة: للعلامة الشيخ محمد حسين الإصفهاني الغروي

سبحان من جاد على الذوات
فقد تجلّى باسمه الجواد
في عنصر النبوة الختمية
حقيقة الأمانة المعروضة
صحيفة المكارم الجميلة
سرّ النبي خاتم النبوة
ومهجة المخصوص بالأخوة
سليل ياسين وسبط طاها

بمقتضى الأسماء والصفات
في مصدر الخيرات والأيادي
بصورة الولاية العلية
رقيقة الديانة المفروضة
لطيفة المعارف الجليلة
في العلم والحكمة والمرّة
في الحلم والإياء والفتوة
فقد تعالى شرفاً وجاها

سلالة الخليل في وفائه
 ساحل جوده هو الجودي
 بل هو للكليم تاج رأسه
 بل هو روح الروح في ابن مريم
 وحشمة الله رهين نعمته
 ولا ترى في الأنبياء مكرمة
 ووجهه مصباح نور النور
 ونور وجهه كنور الباري
 غُرَّتْهُ بَارِقَةُ الْكَمَالِ
 وعينه في عالم التكوين
 وقلبه عرش مليك المعرفة
 وصدره خزانة الغيوب
 لسانه شريعة الأحكام
 لسانه ينطق لا عن الهوى
 يمثل النبي في منطق
 كأنه أريد ذاك المنطق
 كلامه أم جوامع الكلم
 كلامه هو الكتاب الناطق
 حقيقة السبع المثاني ذاته
 سرّ عليّ في علوّ المنزلة

وصفوة الصفيّ في صفائه
 به نجّي ربنا نجّي
 في بطشه وفي شديد بأسه
 وهو من الكلام أمّ الكلم
 في ملكه وعلمه وحكمته
 إلّا وفيه كل معنى الكلمة
 طلعت مننّة الظهور
 يذهب بالألباب والأبصار
 شارقة الجلال والجمال
 إنسان عين الحقّ واليقين
 بل عرش من لا اسم له ولا صفه
 في سرّه مسرّة القلوب
 لا بل لسان الوحي والإلهام
 فإنّه من الشديد في القوى
 فإنّ هذا النور من مشرقه
 هذا كتابنا عليكم ينطق
 ومنه سرّ الكلّ في الكلّ علم
 آياته الغرّ هي الحقائق
 والكلمات كلّها آياته
 فهو إذاً نقطة باء البسملة

وليس عاليات الأحرف إلا رموز سرّ سرّه الخفي

وله ﷺ أيضاً:

وجوده مصباح أنوار الهدى	وجوده مفتاح أبواب الندى
دليل أهل الأرض والسماء	بل سرّه معلّم الأسماء
هو الجواد لا إلى نهاية	وجوده غاية كل غاية
هو الجواد بالوجود الساري	وجوده مظهر جود الباري
هو الجواد المحض لا لغاية	فإنّه المبدأ والنهية
وكل ما في الكون فيض جوده	والجود كالذاتيّ في وجوده
ومن بديع جوده الإبداع	فإنّه لأمره مطاع
فالمبدعات من معالي هممه	والكائنات نبذة من كرمه
وجنّة النعيم من نعمائه	وكيف والجواد من أسمائه؟!
هو الجواد بالعلوم والحكم	بل كل ما في الكون يسطرّ القلم
له يد المعروف بالمعارف	فإنّها قرّة عين العارف
بل يده البيضاء تعالت عن صفة	إذ هي بيضاء سماء المعرفة
وهي يد الجواد بالإفاضة	أكرم بهذه اليد الفيّاضة
وباب أبواب المراد باب	والحرز من كل البلا حجاب
كهف الورى وغوث كلّ ملتجى	في الضيق والشدة باب الفرج
وكعبة البيت لكل ناسك	وقبلة الضراح للملائك
معتكف للتاليات ذكرا	مختلف المدبّرات أمرا

وهو مدار الفلك الدوّار
والحجب السبعة سرّ باب
والعرش كرسيّ بباب داره
كيف وباب الجود للجواد
وكم لأرباب العقول المرسله
كل المعالي في أئمة الوري
وكلهم أسماء حسنى البارى
وكلهم جواهر الكنز الخفي
وكل اسم مبدأ العناية
من جاد ساد فله السيادة
والمكرّمات كلّها في الجود
عين الرضا لا بدّ منه فيه
بل هو كالكاظم في مراتبه
يمثّل الصادق فيما وعدا
يمثّل الباقر في المكارم
يمثّل السجاد في فضائله
وليس كالشهيد من جواد
ومن كعمّه الزكيّ المجتبى
بل حلمه من جوده العظيم
هو الجواد صفوة الأجواد

ومركز الثابت والسيّار
والحضرات الخمس في قبابه
ومستوى الرحمة في جواره
واسم الجواد مبدأ الإيجاد
باب من الخير وباب الجود له
هو الجواد أولاً وآخراً
والجود مبدأ الوجود الساري
واسم الجواد مبدأ التعرّف
واسم الجواد مبدأ وغاية
في ملكوت الغيب والشهادة
أكرم به من خلق محمود
فهو إذا سرّ الرضا أبیه
فإنّ كظم الغيظ جود صاحبه
إذ صادق الوعد جواداً بدا
فإنّ نشر العلم جود العالم
فإنّ بذل الجود جود باذله
بالنفس والأموال والأولاد
فإنّه الكريم من آل العبا
فلا أحقّ منه بالتكريم
ونخبة الوجود والإيجاد

يُمَثِّلُ المَبْدَأَ جُوداً جُودَهُ
 كَلَّ مَبَادِي الجُودِ والإِيجَادِ
 كَأَنَّ مَاءَ الحَيَوَانِ جُودَهُ
 وَلَيْسَ فِي الأَيْدِي يَدُ الأَيْدِي
 وَلَا يَدَ المَعْرُوفِ إِلَّا يَدَهُ
 هُوَ الجَوَادُ لَا جَوَادَ غَيْرَهُ
 وَجَادٌ بِالتَّكْوِينِ وَالتَّشْرِيعِ
 حَتَّى إِذَا لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَاقِيَةٌ
 جَادٌ بِنَفْسِهِ سَمِيماً ضَامِياً
 وَالعُرْوَةُ الوَثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمُ
 قَضَى شَهِيداً وَهُوَ فِي شَبَابِهِ
 أَفْطَرَ عَنِ صِيَامِهِ بِالسُّمِّ
 وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِالبُكَاءِ
 وَانْطَمَسَتْ نَجُومُهَا حَيْثُ خَبَا
 وَانْتَشَرَتْ كَوَاكِبُ السَّعُودِ
 وَكَادَتْ الأَرْضُ لَهُ تَمِيدُ
 قَضَى بِغَيْدِ الدَّارِ عَنْ بِلَادِهِ
 تَبْكِي عَلَى غُرْبَتِهِ الأُمْلَاكُ
 تَبْكِيهِ حَزْناً أَعْيَنَ النُّجُومُ
 وَنَاحَتْ العُقُولُ والأَرْوَاحُ

وَالْمِثْلُ الأَعْلَى لَهُ وَجُودُهُ
 لَا تَنْتَهِي إِلَّا إِلَى الجَوَادِ
 حَيَاةُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَجُودُهُ
 عَلَى الْوَرَى إِلَّا يَدُ الجَوَادِ
 فَهُوَ لِكُلِّ مَصْدَرٍ مُورِدُهُ
 لَا خَيْرَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا خَيْرُهُ
 بِمَقْتَضَى مَقَامِهِ الْمُنِيعِ
 جَادٌ بِأَنْفُسِ النُّفُوسِ الرَّاقِيَةِ
 نَالَ مِنَ الْجُودِ مَقَاماً سَامِياً
 تَقَطَّعَتْ ظِلْماً بِسُومِ المَعْتَصِمِ
 دُسَّ إِلَيْهِ السُّومُ فِي شَرَابِهِ
 فَانْفَطَرَتْ مِنْهُ سَمَاءُ الْعِلْمِ
 عَلَى عِمَادِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 بِدَرِ المَعَالِي شَرْفاً وَمَنْصَبَا
 عَلَى نِظَامِ عَالَمِ الْوُجُودِ
 بِأَهْلِهَا إِذْ فَقَدَ الْعَمِيدُ
 وَعَنْ عِيَالِهِ وَعَنْ أَوْلَادِهِ
 تَنُوحُ فِي صَرِيرِهَا الأَفْلَاكُ
 تَلْعَنُ قَاتِلِيهِ بِالرَّجُومِ
 بَلْ نَاحَتْ الأُظْلَالُ والأَشْبَاحُ

صَبَّتْ عَلَيْهِ أَدْمَعَ الْمَعَالِي
بَكَتْ لِرَبِّهَا الْعِلُومَ
قَضَى شَهِيداً وَبَكَاهُ الْجُودُ
يَبْكِي عَلَى مَصَابِهِ مُحْرَابُهُ
تَبْكِي اللَّيَالِي الْبَيْضَ بِالضَّرَاعَةِ
تَعْساً وَبُؤْساً لِابْنَةِ الْمَأْمُونِ
فَإِنَّهَا سَرَّ أَبْيَاهَا الْغَادِرُ
قَدْ نَالَ مِنْهَا مِنْ عِظَائِمِ الْمُحَنِّ
فَكَمْ سَعَتْ إِلَى أَبْيَاهَا الْخَائِنُ
حَتَّى إِذَا تَمَّ لَهَا الشَّقَاءُ
سَمَّتْهُ غِيلَةً بِأَمْرِ الْمَعْتَصِمِ
وَيَلَّ لَهَا مَمًّا جَنَّتْ يَدَاهَا
وَلَا تَحْنَنْتْ عَلَى شَبَابِهِ
تَبَّتْ يَدَاهَا وَيَدَا أَبْيَاهَا

هَدَّتْ لَهُ أَطْوَادُهَا الْعَوَالِي
نَاحَتْ عَلَى حَافِظِهَا الرُّسُومَ
كَأَنَّهْ بِنَفْسِهِ يَجُودُ
كَأَنَّهْ أَصَابَهُ مَصَابُهُ
سُوداً إِلَى يَوْمِ قِيَامِ السَّاعَةِ
مَنْ غَدَرَهَا لِحَقْدِهَا الْمَكْنُونِ
مَشْتَقَّةٌ مِنْ أَسْوَأِ الْمَصَادِرِ
مَا لَيْسَ يَنْسَى ذِكْرَهُ مَدَى الزَّمَنِ
بِهِ لَمَّا فِيهَا مِنَ الضَّغَائِنِ
أَتَتْ بِمَا اسْوَدَّ بِهِ الْفُضَاءُ
وَالْحَقْدُ دَاءٌ هُوَ يَعْمي وَيَصُمُ
وَفِي شَقَايَا تَبَعَتْ أَبَاها
وَلَا تَعَطَّفَتْ عَلَى اغْتِرَابِهِ
مُصِيبَةُ عِزِّ الْعِزَاءِ فِيهَا

القصيدة السابعة: للعلامة الشيخ جعفر النقدي

لَكُمْ غَزْلِي وَمَدْحِي فِي إِمَامِي
هُوَ الْبِرُّ التَّقِيُّ، حُمَى الْبِرَايَا
إِمَامٌ أَوْجَبَ الْبَارِي وَلاَهُ
دَلِيلُ بَنِي الْهَدَايَةِ خَيْرُ دَاعٍ

أَبِي الْهَادِي (مُحَمَّدُ الْجَوَادِ)
وغيث المجتدي، غوث المنادي
وطاعته على كل العباد
إلى ربِّ السماء وخير هادي

إمام هدىّ مقام علاه أضحت
 تقبل منه أرضاً قد أنافت
 من الغرّ الأولى فيهم تجلّت
 ومن في فضلهم طوعاً وكرهاً
 بهم كُتب السما نطقت وكم من
 وقبل وجودهم قد كان يدعو
 تخذتُ ولأئهم ديناً لأنني
 وهم حصني إذا ما ناب خطب
 ومنهم نعمتي وهُم رجائي
 إذا ما سُدتّ الأبواب فاقصد
 ترى باباً به الحاجات تُقضى
 ومولّى فيه تلتجئ البرايا
 لطلّاب الحوائج من نداه
 على وفّاده كالغيث تهمي
 بحار علومه علم البرايا
 رأى دين المهيم منه شهماً
 فكان بظله في خير أمنٍ
 وكم ظهرت له من معجزات
 وما ارتدعوا بنو العباس عمّا
 فساموه الأذى حسداً ببغي

به الأملاك رائحة غوادي
 برفعتها على السبع الشداد
 لرواد الهدى سنن الرشاد
 قد اعترف الموالي والمعادي
 حديث جاء من أهل السداد
 بهم قسّ بن ساعدة الأيادي
 رأيت ولأئهم خير العتاد
 وهم مغنى انتجاعي وارتيادي
 وهم ذخري الطريف مع التلاد
 (جواد) بني الهدى باب المراد
 ومتجعاً خصب المستراد
 لدى الجلي وفي السنّة الجماد
 تزاحمت العوائد والبوادي
 يداه مدى الزمان بلا نفاد
 لدى زخّارها شبه الثّمد
 كريم الذبّ عنه والذّباد
 به لم يخش غائلة الأعادي
 رآهنّ الحواضر والبوادي
 قلوبهم حوته من عناد
 لهم قد فاق شرّاً ببغي عاد

وَدَسَّ لِقَتْلِهِ سُمًّا ذُعَافًا
فَأَغْضَبَ رَبَّهُ فِيمَا جَنَاهُ
وَبَاتَ الطَّهْرَ وَالْأَحْشَاءَ مِنْهُ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ وَالسُّمَّ فِيهِ
تَقَلَّبَ الشَّجُونُ عَلَى بَسَاطِ
ءِ أُمِّ الْفَضْلِ لَا قُدُسَ رُوحًا
حَكِيَّتِ (جَعِيدَةً) فِي سُوءِ فَعْلٍ
أَمْثَلِ (ابْنِ الرِّضَا) يَبْقَى ثَلَاثًا
وَيَقْضِي فَوْقَ سَطْحِ الدَّارِ فَرْدًا
أَفْتِيَانِ الْعُلَى مِنْ آلِ فَهْرٍ
وَأَبْنَاءَ الْمَوَاضِي وَالْعَوَالِي
هَلَمُّوا بِالسُّوْمَةِ الْمَذَاكِي
عَلَيْهَا كُلٌّ مَغْوَارٍ جَسُورٍ
فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ ضَاعَتْ جَبَارًا
وَفَعَلَ (بَنِي نَثِيلَةَ) فَاقَ شَرًّا
سَقَى الزُّورَاءَ غَيْثٌ مُسْتَمِرٌّ
رُبَا أَرْجَائِهَا أَعْلَى مَقَامًا
بَقَرِ ابْنِ الرِّضَا وَأَبِيهِ حَقٌّ
هُمَا كَهْفُ النِّجَاةِ لِمَنْ رَمَتْهُ
كَرِيمًا مُحْتَدٍ مِنْ كَانَ مِثْلِي

زَنِيمٍ لَيْسَ يَأْمَنُ بِالْمَعَادِ
وَأَرْضِي (أَحْمَدَ بْنَ أَبِي دُوَادٍ)
بِهَا نَارُ الْأَسَى ذَاتَ اتِّقَادٍ
تَقْطَعُهُ ظُبَى بَيْضِ حَدَادٍ
مِنَ الْأَسْقَامِ دَامِيَ الْقَلْبِ صَادِي
وَلَا وُقُفَّتِ يَا بَنَتَ الْفَسَادِ
فَخَصَمَكَ أَحْمَدُ يَوْمَ التَّنَادِ
رَهْنِ الدَّارِ فِي كَرْبِ الشَّدَادِ
وَأَنْتِ مِنَ الْغَوَايَةِ فِي تِمَادِي
وَأَبْطَالَ الْوَغَى يَوْمَ الْجَلَادِ
وَفَرَسَانَ الْمُطَهَّمَةِ الْجِيَادِ
لِدَرْكِ الثَّأْرِ ضَابِحَةِ عَوَادِي
يَزِينُ حَسَامَهُ طَوْلُ النَّجَادِ
لَدَى الطُّلُقَاءِ مِنْ بَاغٍ وَعَادِي
فِعَالِ أُمِّيَّةٍ وَبَنِي زِيَادِ
وَعَاهِدِ أَرْضَهَا صَوْبَ الْعَهَادِ
وَأُزْهِى مِنْ رُبَا ذَاتِ الْعِمَادِ
لَهَا لَوْ فَاخَرْتَ كُلَّ الْبِلَادِ
لِيَأْلِيهِ بِدَاهِيَةِ تَادِ
يُوَدُّهُمَا فَمِنْ كَرَمِ الْوِلَادِ

فما زالت قبورها قصوراً مشيئة رفيعات العماد
وما برحت وجوه بني البغايا بأقلامي يسودها مدادي^(١)

القصيدة الثامنة: للحاج محسن المظفر

(باب المراد) ولا كصدرك إذ تُؤم

في حاجةٍ رحبٍ إليه الجمّ ضم
وبحسب آمال تزم لغاية

إنّ (الجواد) محطُّ آمال تُزَم
هو للذي وهب الهداية بابه

بالرغم ممّن بات يختبط الظلم
باب له في الآي أي مفاتيح

فتح الإله بها الهدى وبها ختم
رھط المباهلة الجليلة رهطه

أدریت من بهم المباهل قد خصم؟
أجر الرسالة ودّهم وكفى به

أما يراع الفخر مفخرة رقم
ينحطّ عن تطهيرهم في آية

التطهير حتى الفضل ينتعل القمم

ملك بأمر الله (جلّ) متوجّج
 إن كان تاج سواه تعقده الأمم
 وقف على أمر المهيمن أمره
 وببعض ما عنه نهى ما كان هم
 مستجردٍ لله جرّد عزمه
 لرضاه مذهباً هزءاً جميعاً بالسأم
 ذو طلعةٍ بهر النواظر حسنّها
 متطلّعات للضياء عليه نم
 ذو نشأةٍ أعين التفكّر كهنها
 سبحان من أنشاه من علقٍ ودَم
 غذاه درّ العلم قبل فصاله
 فنما كما ينمو وبالعلم انفظم
 أجرى إليه العلم بالقلم الذي
 يجري على اللوح المعلم بالقلم
 تغنو الشيوخ إلى الصبي متى استوى
 في الدست يشرع الحكومة والحكم
 وبحضرة المأمون أفحم سائل
 للامتحان أتى فعاد مخيط فم
 قد أخرس (ابن أكرم) فانشنى
 يومي لمن حضروا بأنّ (العلم) جم

أو ما سمعتم ما سمعت؟ فدونكم
 ثمر الجناية فاجتونا نكباً وهم
 يليانكم ما دمت لم تقطفوا
 من ينعها غير التحسّر والندم
 هلاً اقتديتم بالأولى في الآل قد
 بذلوا ليخفوا فضلهم أقصى الهمم
 نحلوا العيون تمدّ للأعيان والآ
 ذان ترهف للصدى صداً وصم
 ضربوا الستور حياهم كي يحجبوا
 منهم عن البصر الحديد بدور تم
 وأبئتم إلا انتدابي ضلّة
 للندب كم خصم بحجّته انخضم
 فلكم تبصّر ذو عمى فيما له
 فبهتّموا كم غافلٍ ولكم وكم
 أعلنتم السرّ الذي كتموا كما
 قاضي قضاكم الحقيقة قد كتم
 فجري بمجري الجهل سابق علمه
 بمصيره متعثراً حتى ارتطم
 هوذا مفاد (إشارة) سبقت لهم
 لتنوب عن فهمه الذي الحجر التقم

نكروه وهي بحالها قد فسّرت
من هياة (المندوب) ما كان (ابنهم)
ثم انبرى (ذو التاج) ثمّة قائلاً
والكلّ تحسب من وجومٍ كالصنم
لكأنّ طيراً قد علا تلك الرؤو
س فمن بحضرته سوى (المولى) وجم
وخطابه للرهط لاموه بمن
بأبيه قبل ملامهم فيه ألم
يالايمى وعذرکم من جهلكم
فيما علمتُ فلو علمتم لم أَلَم
جاريتكم كي تفهموا من أمره
ما غمّ بعدُ عليكم وخلاه ذم
هذا ابن ورث نبوة العلم غير
مدافعين فما لنا ولمن ظلم
ورثوه منه حيث كان نصيبهم
مهما الخلاف من الخلا لهم حرم
خلق الخلاف حديث (لا) وجميعهم
ترك المهمّ مع الخلاف إلى الأهم
فرضوا الحديث مخالفاً للذكر إذ
في الإرث مفترضاً لمثلهم حكم

هذا سليمان النبي ومثله
 يحيى وإرثهما من (العلم) الأعم
 ما يصنع التأويل والعرب الأولى
 تركوا الفصيح إلى رطانات العجم؟!
 في ظاهر اللفظ الذي هو حجة
 عند الخصام لمن لحمكه احتكم
 دعوى أبيها (الزوج) قوم قليلها
 وسكوت عمّ الجدّ فريته دعم
 ولئن زوى ميراثهم فبحسبهم
 علم زواه الله عن (زوج وعم)
 علم له حتى المعاند مذعن
 فمقالكم (أمهله..) سُمّ في دسم
 فهنا لكم مرقت من الأكّم العيو
 ن فأبصرت شبحاً تسترّ بالأكّم
 ماذا يريد ترون وهو محاضر
 في علمه بالنبش عن تلك الرمم؟
 همساً لبعضهم ألا فلتقنطوا
 (فابن الرضا) لولاية العهد استلم
 ياللمفاجأة البغيضة أنّه
 فيها أعاد اللحم منّا للوضم

هأنه للابن بعد أبيه قد
أعطى زمام الأمر أقحم أم خرم
بنياهم في مثل ذاك وكلهم
مما أطار اللبّ ينفخ في حمم
وإذا المحاضر عند فصل خطابه
يصل الحديث بما عليه قد عزم
فتراه يقبل بالحديث على الذي
من أجله شمل الحضور قد التأم
يابن الرضا وبك الرضا أعرض فد
يتك وابنتي زوجتُ منك رضىت أم؟
فإذا تألق نجم سعدي طالعاً
وقبلت (أم الفضل) زوجاً قل: نعم
واخطب لنفسك حيث شئت فمهرها
مهما غلا مني فلا يعلوك هم
فأجابه المولى بما انبسط له
نفس الأمير كمن تنفّس عنه غم
ولقد تحوّل حيث هُيئ كلاً
أوحى به لأمينه نحو الخدم
فبدوركم يا غلمتي هيّا اقبلوا
بنتاركم فالطيب فالعقد انتظم

هيا انثروا في الحاضرين وعطروا
فالبشر كل الكائنات أراه عم
شكراً لذى نعم أراني ضوؤها
عند اقتران (النيرين) مدى النعم
فإذا الندى ونده الفياح قد
ملاً الفضا مترنج من خمر شم
وإذا البلاط وكل شيء ضاحك
حتى (الرقاع) كثر حسناء ابتسم
والرشد وقع بابتهاج مشعراً
بسروره الهادين في برّ ويم
رقصت قلوب المهتدين لضربه
بنياطها لا الضرب في أوتار بم
أنشودة الأفراح لحنها الوفا
ء بثنائي (العهدين) في أشهى رنم
جارى الموقع صوته فكأنما
مزمار (داود) أعارهما النغم
والكون يرفل في مطارف غبطة
خيّطت بهذب العين لا بذوات شم
بل كل ما في الكون تحسب من هوى
في العرس أفناناً تنسّمت النسم

عرس تحاماه الخيال فلم يُطَق
 تصويره للمعجمين بما رسم
 عرس توهمه الجميع سعادةً
 لشتيتهم شعث الجميع بها يلم
 عرس به الدنيا تزفّ وضيئة
 للدين من أنواره البدر استتم
 بغداد لم تشهد، وكم شهدت من الأ
 عراس كالعرس العبوس له بَسَم
 بغداد وهي بعصرها الذهبي لم
 تر مثله نثر الفرائد قد نظم
 لكنني لنتيجة حصلت له
 أدعو وإن عجلت ومن يدعو عثم
 يا ويح ذاك العرس ينقصه الهنا
 يا ليت لو تُعطى المنى ما كان تم
 فلقد جنى مرّاً وأعقب لوعة
 مَنَحَا الشجي حلقي وقلبي للضرم
 يا ويح أمّ الفضل غادر سمها
 إنسان عين الفضل ثم صريع سُم
 يا ويحها خبثت فغادر فضلها
 أما تبنت بعده الغدر الأذم

غدرت بأرعى العالمين لعهد
 راعت بفعل الشرر رغبة شرّ عمّ
 تركته منفرداً يَجُود بنفسه
 في الدار بارحها القطين خلا الألم
 تركته يلتمس الممرّض لم يجد
 فيها سوى سقم يمرّض ذا سقم
 الله من فعل القضاء بمرّجى
 لدفاعه ولحلّه إمّا انبرم
 ذو الوجه عند الله يصبح وجهه
 يا للأسى كالآس غصنه الشيم

القصيدة التاسعة: للشيخ محمد جواد قسام

بكم آل بيت الله يُستدفع الضرُّ
 وفي فضلكم قد صرّح الوحي والذكر
 فأنتم هداة الخلق للحقّ والهدى
 وفيكم ومنكم لا لغيركم الفخر
 تشيّد هذا الدين في سيف جدّكم
 ولولاه لم يخضع لتصديقه الكفر
 فما أسلموا إلّا لحقن دمائهم
 ولما التقى الجمعان في (أحد) فرّوا

وجاهدتُم في الله حقَّ جهاده
 فبان له في بذل جهدكم النصر
 وأنتم رعاة الناس حقاً وحبّكم
 من الله فرض كيف يُعصى لكم أمر؟!
 صبرتم على جور الطغاة وإنّما
 سلاح رجال المصلحين هو الصبر
 عزيز على الإسلام ما حلّ فيكم
 من الضيم ما يُشجى لسامعه الذكر
 فبين قتيل بالطفوف معفّر
 توزّع في أحشائه البيض والسمر
 وبين عليل بالقيود مصفّد
 يرى حرماً في الأسر سائقها زجر
 ولهفي لكم بالسيف بعض وبعضكم
 بسُمّ قضى هذا لعمري هو الجور
 وإن أنس لا أنسى (الجواد محمداً)
 (أبا جعفر) من فيض أنمله بحر
 معاجزه كالنجم لاحت منيرة
 فليس لها نكر وليس لها حصر
 أقرّ بها الحُساد بالرغم منهم
 فسل عنه (يحيى) حين حلّ به الحصر

لقد أشخصوه عن مدينة جدّه
 لبغداد قهراً عندما دبّر الأمر
 ودسّوا له سُماً على يد زوجةٍ
 بها من أبيها كامنٌ ذلك الغدر
 فظلّ يعاني السُمّ في الدار وحده
 ثلاثة أيامٍ أما علِمَتْ فِهر؟!
 قضى فوق سطح الدار والطير فوقه
 تظلّله كيلا يؤلّمه الحرّ
 ولكن على وجه الصعيد مجرّداً
 بقى جدّه ثاوٍ وأكفانه العفر

المتنوى الطاهر في ذمة التاريخ

ويشمخ المرقد الطاهر للإمام الجواد بجوار جده موسى بن جعفر رغم عادية
 الزمن وعواصف الأهواء، وتتداعى مؤامرات الأعداء كلّما تشهق منائر المجد
 سمّواً، وتخلد عمائر الولاء كلما تداعت محاولات الاعداء..
 وهكذا تحكي عمارة المرقد الشريف للإمام الجواد وجده موسى تاريخ معاناة
 الأئمة ومحنة الإمامة:

١ - كانت عمارة المرقد لا تتعدى عن قبرٍ يضم رفاة الإمامين عليه السلام في مقابر
 قريش يرتاده شيعته على خوفٍ ووجل خشية أولئك الذين يراقبون شيعة الإمام
 ويمنعونهم من مزاوله حقوقهم في تجديد العهد للإمامين عليه السلام.

٢ - وتعمّر البقعة المباركة بالدور المحيطة بالمرقد الشريف وتزداد أعداد الزائرين المرتادين للبقعة المباركة أيام الديالمة.

٣ - سنة ٣٣٦هـ يجدد معز الدولة أحمد بن بويه عمارة ضريحي الإمامين، ويأمر بتعيين الخدم والجند لتأمين خدمات المرقد وما تحتاجه جماهير الزائرين المحتشدة في البقعة المباركة.

٤ - سنة ٣٦٩هـ يعمر عضد الدولة البويهى المشهد الطاهر بعمارة جديدة.

٥ - سنة ٤٤٣هـ تقع الفتنة التي أدت إلى حرق المرقد الشريف ومحاولة الرعا حفر القبر الطاهر ونقل الجثمانين الشريفين إلى مقبرة أحمد بن حنبل لكن شاء الله تعالى أن يحفظ هذا الصرح العظيم لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ فلم يأذن في خرابها، بل أذن في أن تبقى خالدة بخلود الإيمان، شامخة بشموخ المجد والولاء.

٦ - في سنة ٤٤٦هـ جدد المرقد الطاهر بعد الفتنة في بغداد.

٧ - في سنة ٤٩٠هـ عمارة أبو الفضل الأسعد بن موسى القمي أحد الوزراء السلجوقيين.

٨ - سنة ٥١٧هـ تعرض الغوغاء إلى المرقد الطاهر محاولة منهم لهدمه وحرقه وذلك أيام المسترشد بالله العباسي، فعاثوا في الأرض الفساد وعمدوا إلى نهب المرقد وسرقة ما فيه من النفائس.

٩ - سنة ٥٧٥هـ كانت عمارة الناصر العباسي فقام ببناء المرقد الشريف وتعميره وتزيين الصندوق وبناء المآذن وتوسعة الصحن الشريف وبناء حجراته.

١٠ - تعرض المرقد الطاهر إلى حريق في أيام الظاهر بأمر الله العباسي

فاحترقت الأثاث والكتب.

١١- في سنة ٩٦٦هـ كانت عمارة الشاه إسماعيل الصفوي فجدد المشهد الطاهر وبنى القبتين الشريفتين.

١٢- في سنة ١٠٤٧هـ نهب جنود العثمانية المرقد الطاهر بعد دخول السلطان العثماني مراد الرابع إلى بغداد وسرقوا نفائس الحرم الشريف ونهب قناديل الذهب والفضة.

١٣- سنة ١٢١١هـ كانت عمارة الشاه القاجاري محمد شاه بتذهيب القبتين والمنائر والايوان الصغير.

١٤- وفي سنة ١٢٨٧هـ عمارة السلطان ناصر الدين شاه وأمر بنصب الضريح الفضي على الضريح الفولاذي.

١٥- وفي سنة ١٢٩٣هـ قام فرهاد ميرزا عم ناصر الدين شاه ببناء الصحن الشريف وتجديد عمارته.

١٦- وفي سنة ١٤٢٥هـ جدد الضريح الطاهر الذي أوعز ببنائه المرجع الديني الأعلى آية الله السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي وأشرف على انجازه جمع من الفضلاء في الحوزة العلمية في قم وكان لجهد السيد جلال فقيه ايماني وولده حجة الإسلام السيد محمد جلال فقيه ايماني الاثر البارز في انجاز هذا الضريح الرائع. وقد كُلفت بنظم قصيدة كُتب بعضها على الضريح الطاهر وهي:

يا جوادَ الآلِ يا نعمَ الجوادِ يا سميَ المصطفى خيرَ العبادِ
يا ابنَ موسى والرضا ضاقَ الفؤادِ قد أنختُ الركبَ في بابِ المرادِ

وسعتُ اليومَ أرجو حاجتي

حاجتي تُقضى فَمَا خَابَ الْوِفَادُ مَسْنِي الضُّرُّ فَلَا أَمَلِكُ زَادُ
وَقَزَعْتُ لَا إِذًا فِي خَيْرِ وَادٍ قَدْ رَجَوْتُ الْفَوْزَ فِي يَوْمِ الْمِعَادِ
بِنِي الزَّهْرَا ضَمِنْتُ عُدَّتِي

عُدَّتِي فِي الْحَشْرِ حُبُّ الْمُرْتَضَى وَلَطَهْرٍ وَزَكِيٍّ وَشَهِيدٍ قَدْ مَضَى
وَأَبِي الْبَاقِرِ وَابْنِيهِ وَمُوسَى وَالرِّضَا وَتَقِيٍّ وَنَقِيٍّ وَمَهْدِيٍّ قَضَى
مُحْكَمُ الذِّكْرِ فَهَاجُمْ حُجَّتِي

حُجَّتِي فِي كُلِّ حِينٍ لَائِحَةٌ لِهَوَى الْآلِ شُجُونِي وَاضِحَةٌ
وَأَتَيْتُ بِذُنُوبٍ فَادِحَةٍ وَسَعَيْتُ بِدُمُوعٍ سَائِحَةٍ
زَائِرًا مُوسَى لِتُجَلِّي كُرْبَتِي

كُرْبَتِي تُجَلِّي بِمُوسَى الْكَاطِمِ قَدْ تَمَسَّكَتُ بِحَبْلِ دَائِمِ
وَتَوَجَّهْتُ بِقَوْلِ عَاصِمِ مَا رَوَاهُ عَالِمٌ عَنْ عَالِمِ
قَدْ خَلِفْتُ الثُّقْلَ فِيكُمْ عِزَّتِي

عِزَّتِي تُنْجِي مِنْ نَارِ الْحَرِيقِ يَوْمَ يَمْتَازُ فَرِيقٌ عَنْ فَرِيقِ
وَاعْتَصَمْتُ بِحِمَى رُكْنٍ وَثِيقِ يَوْمَ لَا يُغْنِي رَفِيقٌ عَنْ رَفِيقِ
بِسَلَامٍ إِدْخُلُوهَا جَنَّتِي

«قَبْرُ مُوسَى وَابْنِهِ مِنْ جَنَّتِي»

السيد محمد علي الحلو

الفهرس الفذيتا

فهرس الآيات الكريمة
فهرس الروايات الشريفة
محتويات الكتاب

فهرس الآيات

الآية	الصفحة
﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾	١٠٤
﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾	٨٨
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾	٦٢
﴿إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُكُمْ﴾	٣٤
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾	٢٢
﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾	٦٨
﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا...﴾	٩٥
﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾	١٢٤
﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ...﴾	٥٦
﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	١٢٤
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾	١٧٧
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	٩٢
﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾	٩٣
﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾	١١٦

الآية

الصفحة

- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٍ﴾ ٨٧
- ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ ١٢٤
- ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ...﴾ ٧٥
- ﴿وَأُيِّدْكُمْ إِلَى الْمَرَاقِ﴾ ١٢٤
- ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ١١٦
- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ ٩٣
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ...﴾ ٨٦
- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ١١٦
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾ ٨٨
- ﴿وَيَا أَيُّهَا اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ٥١
- ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ ٥٦
- ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٦٤

فهرس الأحاديث الشريفة

الرواية	القائل	الصفحة
«أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٠
«أربع من كنَّ فيه استكمل الإيمان...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٤
«أقصد العلماء للمحنة الممسك عند الشبهة...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٣
«أما إذا أقسمت عليّ بالله، إنّي أقول...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٢٤
«أما إنّي لو أشاء أن أقول لقلت من الذي يقتلني»	الإمام الرضا عليه السلام	٤٣
«أنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار؟...»	رسول الله ﷺ	٩٨
«إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك فلا...»	الإمام الرضا عليه السلام	٤٢
«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم...»	الإمام علي عليه السلام	١٠٦
«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم	رسول الله ﷺ	١٠٦
«إنّ لله عبداً يخصّه بالنعم، ويقرّها فيهم ما بذلوا...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٠
«إنّ لهذا الكلام وجهين: إن كنت تقول: (هي هو)...»	الإمام الجواد عليه السلام	٩١
«إنما غضبت لله عزّ وجلّ، فارحُ من غضبت له...»	رسول الله ﷺ	٩٩
«إنّي أخرج من الدنيا قبلك مسموماً مقتولاً...»	الإمام الرضا عليه السلام	٤٣

الرواية	القائل	الصفحة
«أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٠
«إيّاك ومصاحبة الشرير فإنّه كالسيف المسلول...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٩
«بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد»	الإمام علي عليه السلام	١٠٧
«بالعبودية لله عزّ وجلّ أفترخ...»	الإمام الرضا عليه السلام	٤٢
«التدبير قبل العمل يؤمنك الندم»	الإمام علي عليه السلام	١٠٧
«تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى الرضا...»	الإمام الرضا عليه السلام	٤٣
«التوبة على أربع دعايم: ندم القلب، واستغفار...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٣
«توسّد الصبر، واعتق الفقر، وارفض الشهوات...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٩
«الثقة بالله تعالى ثمن لكلّ غالٍ...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٨
«ثلاث خصال تجتلب بهنّ المحبّة: الإنصاف في...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٤
«ثلاث من عمل الأبرار: إقامة الفرائض، و...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٣
«ثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٤
«ثلاث يبلغن العبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، و...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٣
«حسب المرء من كمال المروءة، وتركه ما لا يحمل...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٢
«الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله...»	الإمام الجواد عليه السلام	٧٥
«خاطر بنفسه من استغنى برأيه»	الإمام علي عليه السلام	١٠٨
«السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين...»	رسول الله ﷺ	١٢٤
«الشريف كل الشريف من شرفه علمه...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٥
«الصبر عند المصيبة مصيبة الشامت بها»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٣

الرواية	القائل	الصفحة
«العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠٣
«عزّ المؤمن من غناه عن الناس»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠٨
«العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠١
«العلماء غرباء لكثرة الجهّال بينهم»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠٣
«العلم علمان: مطبوع ومسموع...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠١
«عليكم بطلب العلم فإنّ طلبه فريضة...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠١
«عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠١
«فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠٤
«الفضائل أربعة أجناس: أحدها: الحكمة...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠٢
«فقد أغرق نزعاً ولا تطيش سهامى»	الإمام الباقر <small>عليه السلام</small>	١٣٨
«فوالله لا تمضي الأيام والليالي حتى يولد لي ذكر...»	الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>	٦٧
«قتله في حِلٍّ أو حرم؟ عالماً كان المحرم...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	٧٤
«قد نهاني الله أن ألقى بيدي في التهلكة...»	الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>	٤٤
«القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من اتعاب...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١١٠
«قلة العيال أحد اليسارين»	الإمام علي <small>عليه السلام</small>	١٠٨
«قيمة كل امرئ ما يحسنه»	الإمام علي <small>عليه السلام</small>	١٠٧
«كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	٨٧
«كفر النعمة داعية المقت...»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠٥
«كفى بالمرء خيائنة أن يكون أميناً للخونة»	الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	١٠٩

الرواية	القائل	الصفحة
«كيف يضيع من الله كافله؟ وكيف ينجو...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٩
«لا تعادي أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٩
«لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٥
«لا تكن ولي الله في العلانية، عدو له في السر»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٨
«لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذبيت عنا أهل البيت»	رسول الله ﷺ	١٣٨
«لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع...»	الإمام الجواد عليه السلام	٩٢
«لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استوتوا هلكوا»	الإمام علي عليه السلام	١٠٦
«لا يفسدك الظن على صديق وقد أصلحك اليقين...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٥
«لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٢
«لو تكاشفتما ما تدافنتما»	الإمام علي عليه السلام	١٠٦
«لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٤
«ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت عليه...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٠
«ما منّا إلا قائم بأمر الله، وهادٍ إلى دين الله...»	الإمام الجواد عليه السلام	٩٥
«ما هلك امرؤ عرف قدره»	الإمام علي عليه السلام	١٠٧
«مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار»	الإمام علي عليه السلام	١٠٧
«المجمع عليه بالوحدانية، أما سمعته يقول...»	الإمام الجواد عليه السلام	٩٣
«المرء مخبوء تحت لسانه»	الإمام علي عليه السلام	١٠٧
«مقتل الرجل بين لحبيبه، والرأي مع الأثاة...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٤
«من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٤

الرواية	القائل	الصفحة
«من استغنى بالله افتقر الناس إليه...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠١
«من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٩
«من أطاع هواه أعطى عدوه مئناه»	الإمام الجواد عليه السلام	١١٠
«من أمثل إنساناً فقد هابه، ومن جهل شيئاً عابه...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٠
«من أمثل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٥
«من أيقن بالخلف جاد بالعطية»	الإمام علي عليه السلام	١٠٨
«من دخله العُجب هلك»	الإمام علي عليه السلام	١٠٨
«من رضي بالعافية ممّن دونه رزق السلامة ممّن فوقه»	الإمام علي عليه السلام	١٠٨
«من عتب على الزمان طالت معتبته»	الإمام علي عليه السلام	١٠٦
«من وثق بالزمان صرّع»	الإمام علي عليه السلام	١٠٧
«من وثق بالله أراه السرور، ومن توكلّ عليه...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٠
«موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٥
«المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيقٍ من الله...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٩
«نعم، إنّ المحرّم إذا قتل صيداً في الحِلِّ...»	الإمام الجواد عليه السلام	٧٦
«نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ الإبطال، وحدّ التشبيه»	الإمام الجواد عليه السلام	٩٣
«نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك...»	الإمام الجواد عليه السلام	٩٣
«والله ليجعلنّ الله منّي ما يثبت به الحق وأهله...»	الإمام الجواد عليه السلام	٢٧
«والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّ وجلّ...»	الإمام الرضا عليه السلام	٤٣
«وما علمك أن لا يكون لي ولد؟...»	الإمام الرضا عليه السلام	٦٦

الرواية	القائل	الصفحة
«وهذا أيضاً محال؛ لأنّ في الجنة ملائكة الله...»	الإمام الجواد عليه السلام	٨٧
«وهذا أيضاً يجب أن ينظر فيه؛ لأنّ جبرائيل و...»	الإمام الجواد عليه السلام	٨٧
«وهذا الخبر محال أيضاً؛ لأنّ أهل الجنّة كلّهم...»	الإمام الجواد عليه السلام	٨٧
«وهذا محال أيضاً؛ لأنّه لا يجوز أن يشكّ النبي ﷺ...»	الإمام الجواد عليه السلام	٨٨
«ويحك! ليس هذا عوذة، إنّما أغرّه بالعلم غرّاً»	الإمام الرضا عليه السلام	٥٣
«يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدقّ من إحصار العيون...»	الإمام الجواد عليه السلام	٩٣
«يا جابر، إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي...»	رسول الله ﷺ	٦١
يا علي، ما حارّ من استخار...	رسول الله ﷺ	٩٨
«يا قيس إنّ للمحن غايات لا بد أن ينتهي إليها...»	الإمام علي عليه السلام	٩٩
«يا محمد، إنّني أطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك...»	حديث قدسي	٦٢
«يلقي في قلبه الرحمة، فإذا دخل المدينة أخرج...»	الإمام الجواد عليه السلام	٩٥
«يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على...»	الإمام الجواد عليه السلام	١٠٣

مصادر الكتاب

- ١- الآداب السلطانية.
- ٢- الاحتجاج:، أحمد بن علي بن أبي طالب طبرسي (من اعلام القرن السادس): دار الأسوه، قم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤ هـ.
- ٣- الاخبار الطوال: أحمد بن داود الدينوري، (ت ٢٨٢ هـ).
- ٤- أدب الطف.
- ٥- الارشاد: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) (ت ٤١٣ هـ): مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٣ هـ.
- ٦- أعلام الدين: الحسن بن أبي الحسن الديلمي، (من أعلام القرن الثامن الهجري) تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
- ٧- أعلام الهداية: لجنة التألين، نشر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٨- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧٣ هـ) تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- ٩- الأغاني: أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، (ت ٣٥٦ هـ).
- ١٠- أكمال الدين: الشيخ الصدوق، (ت ٣٨١ هـ)، دار الكتب الاسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ.
- ١١- الامالي: الطوسي: محمد بن الحسن طوسی (ت ٤٦٠): تحقيق قسم الدراسات الاسلاميه، نشر دارالثقافه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هـ.
- ١٢- الامالي: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (شيخ مفيد ٤١٣ هـ): تحقيق: حسين استاد ولي وعلى اكبر غفارى، دار النشر الاسلامية.
- ١٣- الإمام الجواد من المهد الى اللحد: محمد كاظم القزويني (معاصر).

- ١٤- الإمام محمد الجواد سيرة وتاريخ: عدنان الحسيني (معاصر).
- ١٥- بحار الانوار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ ق): مؤسسة الوفاء، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ق.
- ١٦- بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار (ت ٢٩٠ هـ): مؤسسة الأعلمي، افست، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٧٤ هـ ش.
- ١٧- تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٧ هـ
- ١٨- التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية.
- ١٩- تاريخ التمدن الاسلامي.
- ٢٠- تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠ هـ).
- ٢١- تاريخ عصر الخلافة العباسية: يوسف العشر (معاصر).
- ٢٢- تحف العقول: الحسن بن علي الحراني (من اعلام القرن الرابع): تحقيق على اكبر غفاري، دار النشر الاسلامية، قم، الطبعة السابعة، ١٤٢٥ هـ.
- ٢٣- التوحيد: شيخ الصدوق (٣٨١ هـ ق): دار النشر الاسلامية، قم، الطبعة السابعة، ١٤٢٢ هـ ق.
- ٢٤- الثاقب في المناقب: محمد بن علي الطوسي (ابن حمزه)، (من أعلام القرن السادس)، نشر مؤسسه أنصاريان، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ.
- ٢٥- ثواب الاعمال: شيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ): حسين اعلمي، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٨ هـ ق.
- ٢٦- حياة أولي النهى.
- ٢٧- الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ ق): تحقيق ونشر مؤسسة امام المهدي (عج)، الطبعة الاولى، ١٤٠٩ هـ ق.
- ٢٨- الدرر الباهرة: محمد بن مكي (الشهيد الاول) (ت ٧٨٦ هـ) تحقيق جلال الدين علي الصغير.
- ٢٩- ديوان السيد الحميري: اسماعيل بن محمد الحميري، (ت ١٧٣ هـ)، نشر مؤسسة

- الاعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ٣٠- رجال الكشي: محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ): وزارت ارشاد اسلامي، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ. ش.
- ٣١- شرح احقاق الحق: للسيد شهاب الدين المرعشي النجفي ().
- ٣٢- عصر المأمون، أحمد فريد رفاعي.
- ٣٣- عوالم الجواد عليه السلام: تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي (عج)، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- ٣٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ): منشورات شريف الرضي، قم، الطبعة الاولى، ١٣٧٨ هـ.
- ٣٥- الغدير: عبدالحسين الاميني (ت ١٣٩٢ هـ): مركز الغدير للدراسات الاسلامية، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٦ هـ. ق.
- ٣٦- الغيبة: محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠ هـ)، نشر مؤسسة المعارف الاسلامي، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥ هـ.
- ٣٧- فرائد السمطين: ابراهيم الجويني الخراساني، (من اعلام القرن السابع والثامن الهجري)، نشر دار الحبيب، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٨ هـ.
- ٣٨- الفصول المختارة: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (المفيد ٤١٣ هـ): تحقيق: علي مير الشريفي، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- ٣٩- الفصول المهمة: علي بن محمد بن أحمد المالكي (ابن الصباغ)، (ت ٨٥٥ هـ) نشر دار الحديث، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٤٠- الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ): على اكبر غفاري، دارالكتب الاسلاميه، تهران، الطبعة السادسة، ١٣٧٥ هـ. ش.
- ٤١- الكامل في التاريخ: عزّ الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ)، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥ هـ.
- ٤٢- كشف الغمة: علي بن عيسى الاربلي (ت ٦٩٢ هـ): احمد الحيتي، منشورات شريف الرضي، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢١ هـ. ق.
- ٤٣- لسان العرب: لابن منظور، محمد بن المكرم بن أبي الحسن (ت ٧١١ هـ): مؤسسة

- التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٣ هـ.
- ٤٤- المجدي في أنساب الطالبين: علي بن محمد العلوي العمري (من أعلام القرن الخامس الهجري).
- ٤٥- مختصر أخبار شعراء الشيعة: للمرزباني الخراساني.
- ٤٦- مدينة المعاجز: السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ): مؤسسة المعارف الاسلاميه، قم، الطبعة الاولى، ١٤١٣ هـ.
- ٤٧- مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي، (ت ٣٤٦ هـ).
- ٤٨- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي (ت ١٤١١ هـ): أُنست، مركز نشر الثقافة الاسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٣ هـ.ق.
- ٤٩- معجم شعراء الحسين عليه السلام.
- ٥٠- مقاتل الطالبين: أبي الفرج الاصفهاني، (ت ٣٥٦ هـ).
- ٥١- مناقب آل الرسول: للنجف آبادي.
- ٥٢- مناقب ابن شهر آشوب: محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ): تحقيق يوسف البقاعي، منشورات ذوي القربى، قم، الطبعة الاولى، ١٤٢١ هـ.ق.
- ٥٣- منتهى الآمال: عباسي القمي، (ت ١٣٥٩ هـ) نشر مؤسسة النشر الاسلامي، قم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢ هـ.
- ٥٤- مهج الدعوات: علي بن موسى بن طاووس، (ت ٦٦٤ هـ)، نشر مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤١٤ هـ.
- ٥٥- موسوعة الامام الجواد عليه السلام: السيد الحسيني القزويني.
- ٥٦- نزحة الناظر وتنبيه الخاطر: حسين بن محمد الحلواني (من أعلام القرن الخامس الهجري)، قم، ١٤٠٧ هـ.
- ٥٧- نور الأبصار: مؤمن الشبلنجي، (من أعلام القرن الثالث عشر الهجري)، منشورات الشريف الرضي، قم.
- ٥٨- وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ): تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت، قم، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ.ق.
- ٥٩- وفاة الإمام الجواد عليه السلام: عبد الرزاق المقمم.

فهرس محتويات الكتاب

٧	كلمة المؤسّسة
١٥	الدعوة العباسية قراءة تأسيسية.....
٢٤	أبو سلمة الخلال العباسي الكوفي المتمرّد.....
٢٦	تأريخية التنافس بين العباسيين
٢٨	قراءة في الصراع العباسي - العباسي
٤٩	الوليد المبارك
٥٥	أبو جعفر الإمام.. الإمامة المبكرّة
٥٩	محمد بن عليّ .. وصيّ آباءه.....
٦٠	بشارة النبي ﷺ
٦٣	وموسى يبشّر أيضاً.....
٦٥	الإمام الرضا في مواجهة العاصفة.....
٦٧	الأحداث الحاسمة
٧٢	مؤهّلات أبي جعفر عند المأمون
٧٣	اقتراح العباسيين على المأمون
٧٣	المناظرة ... الجولة الحاسمة

- ٧٤ عرض المأمون على الإمام الجواد عليه السلام الزواج من ابنته
- ٧٥ مراسم الاحتفال في بلاط الخلافة.
- ٧٦ توضيح الإمام مسأله الفقهيّة
- ٧٦ رغبة المأمون في إظهار فضل الإمام على يحيى وبنى العباس
- ٧٧ ثناء المأمون على الإمام وقوة موقف المأمون أمام العباسيين
- ٧٨ الاحتفال الرسمي بزواج الإمام الجواد عليه السلام من أمّ الفضل
- ٧٩ القراءات المتعدّدة لمواقف المأمون من الإمام عليه السلام
- ٨٥ فقهاء نظريات الاعتذار
- ٩٠ الجواد ووراثة التوحيد... دفاع عن الوجدانية الحقّة.
- ٩٤ ما منّا إلّا قائم بأمر الله
- ٩٦ الإمام الجواد.... راوية الحديث المحظور
- ٩٩ وريث النهج
- ١١٠ الدعاء المعارض، التراتيل، المعارضة
- ١١٤ «محمد»... الإمام.. القديس... ذلك المعجز
- ١١٦ الإمامة وصغر السنّ
- ١١٦ وراثة عيسوية
- ١١٧ شهادة الزور
- ١١٨ نعم... عندي سلاح رسول الله
- ١١٨ المداراة خير من المكاشفة
- ١١٩ إحباط مخططات النظام
- ١٢٢ النهاية المؤسفة.. وفتوى فقهاء الإرهاب

الخطاب الأدبي الشيعي في خضمّ تداعيات الصراع العباسي	١٢٦
الكميت بن زيد مقدّمة شعراء التحديّ	١٣٨
السيد الحميري راوية الفضائل	١٤٠
رواة فضائل آخرين	١٤١
الإمام الجواد عليه السلام في الأدب العربي	١٤٥
القصيدة الأولى: وهي للعلامة الشيخ محمد علي الأردوبادي الغروي ..	١٤٦
القصيدة الثانية: وهي للعلامة الشيخ محمد رضا المظفر	١٤٩
القصيدة الثالثة: وهي للعلامة الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي عليه السلام	١٥٤
القصيدة الرابعة: في رثاء الإمام عليه السلام للعلامة الشيخ قاسم محيي الدين ...	١٥٦
القصيدة الخامسة: وله أيضاً	١٥٧
القصيدة السادسة: للعلامة الشيخ محمد حسين الإصفهاني الغروي	١٥٨
القصيدة السابعة: للعلامة الشيخ جعفر النقدي	١٦٣
القصيدة الثامنة: للحاج محسن المظفر	١٦٦
القصيدة التاسعة: للشيخ محمد جواد قسّام	١٧٤
المثنوى الطاهر في ذمة التاريخ	١٧٦
الفهارس الفنية	١٨١
فهرس الآيات	١٨٣
فهرس الأحاديث الشريفة	١٨٥
مصادر الكتاب	١٩١
فهرس محتويات الكتاب	١٩٥

الإصدارات العلمية لمؤسسة السبطين عليه السلام العالمية

- ١ - فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام: تأليف العلامة محمّد جواد مغنية عليه السلام، (دورة فقهية كاملة في ست مجلّدات).
- ٢ - قصص القرآن الكريم دلاليّاً وجماليّاً: تأليف الاستاذ الدكتور محمود البستاني (في مجلّدين).
- ٣ - محاضرات الإمام الخوئي عليه السلام في المواريث: بقلم السيّد محمّد علي الخرسان.
- ٤ - المولى في الغدير: تأليف مؤسسة السبطين عليه السلام العالمية.
- ٥ - أدب الشريعة الاسلامية: تأليف الاستاذ الدكتور محمود البستاني.
- ٦ - عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليه السلام: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.
- ٧ - أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.
- ٨ - التحريف والمحرفون: تأليف السيّد محمّد علي الحلو.
- ٩ - الحسن بن علي عليه السلام (رجل الحرب والسلام): تأليف السيّد محمّد علي الحلو.
- ١٠ - بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله: تأليف السيد المرتضى الرضوي.
- ١١ - الحتميات من علائم الظهور: تأليف السيّد فاروق البياتي الموسوي.
- ١٢ - معالم العقيدة الإسلامية: لجنة التأليف والبحوث العلمية للمؤسسة.
- ١٣ - هويّة التشيع: للدكتور الشيخ أحمد الوائلي عليه السلام تحقيق مؤسسة السبطين.
- ١٤ - نحن الشيعة الإمامية وهذه عقائدنا: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي.
- ١٥ - لماذا اخترنا مذهب الشيعة الإماميّة: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي.

- ١٦- المثل الأعلى: تأليف السيد محمد الرضي الرضوي .مراجعة المؤسسة.
- ١٧- الشيعة وفنون الإسلام: تأليف آيت الله السيد حسن صدر رحمته .مراجعة المؤسسة.
- ١٨- هدية الزائرین (فارسي): تأليف الشيخ عباس القمي رحمته، تحقيق المؤسسة.
- ١٩- قطره ای از دریای غدیر (فارسي): تأليف المؤسسة .
- ٢٠- مهربانترین نامه (شرح الخطبة ٣١ لنهج البلاغة) (فارسي): تأليف السيد علاء الدين الموسوي الإصفهاني.
- ٢١- پرسش ها و پاسخ های اعتقادی (فارسي): تأليف المؤسسة.
- ٢٢- روزشمار تاریخ اسلام (فارسي): تأليف المؤسسة.
- ٢٣- غربت یاس (فارسي): تأليف المؤسسة.
- ٢٤- حجاب حريم پاکی ها (فارسي): تأليف المؤسسة.
- ٢٥- سكينه؛ پرده نشين قريش (فارسي): قسم الترجمة
- ٢٦- شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام حقيقة تاريخية (أردو): قسم الترجمة.
- ٢٧- قطره ای از دریای غدیر (أردو): قسم الترجمة.
- ٢٨- مشفقانه وصيت نامه (شرح خطبه ٣١ لنهج البلاغة) (أردو): قسم الترجمة.
- ٢٩- عقيلة قريش آمنة بنت الحسين عليه السلام الملقبة بسكينه (انجليزي): قسم الترجمة.
- ٣٠- شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام حقيقة تاريخية (انجليزي): قسم الترجمة.
- ٣١- بحوث حول الإمامة (انجليزي): قسم الترجمة.
- ٣٢- بحوث حول النبوة (انجليزي): قسم الترجمة.
- ٣٣- علوم قرآنية (انجليزي): قسم الترجمة.
- ٣٤- مفاهيم قرآنية (انجليزي): قسم الترجمة.
- ٣٥- بحوث عقائدية في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام: نصوص مختارة من مؤلفات الإمام السيد الخوئي رحمته.
- ٣٦- عصر الغيبة، الوظائف والواجبات.: تأليف الشيخ علي الشطري .

- ٣٧- العروة الوثقى والتعليقات عليها (الجزء الأول - الإجتهد والتقليد) تأليف السيّد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، ويشمل (٤١ تعليقة). من أعداد مؤسسة السبطين عليه السلام.
- ٣٨- الإمام الجواد عليه السلام، الإمامة المبكرة: تأليف السيد محمد علي الحلو.
- ٣٩- أطيب البيان في تفسير القرآن (الجزء الأول، فارسي): تأليف آيت الله سيد عبدالحسين الطيب رحمه الله، تحقيق مؤسسة السبطين عليه السلام العالمية.
- ٤٠- أطيب البيان في تفسير القرآن (الجزء الثاني والثالث، فارسي): تأليف آيت الله سيد عبدالحسين الطيب رحمه الله، تحقيق مؤسسة السبطين عليه السلام العالمية.

يرجى الانتباه!

نلفت نظر القراء الكرام بأن كتاب فقه الامام الصادق عليه السلام المحقق والمطبوع من قِبَلِ المؤسّسة في ست مجلّدات .
نشرته جهة مجهولة بدون علم وترخيص المؤسسة في ثلاث مجلّدات .
وبهذا نرجو من القراء الكرام ودور النشر الموقرة بأشعار المؤسسة
عن موزع الكتاب المذكور في ثلاث مجلّدات .